

# فتح الله كُولَن

قصة حياة ومسيرة فكر

أرطغرول حِكْمَة

دارالتينك

فتح الله كونه  
قصة حياة ومسيرة فكر



محمد فتح الله كولن  
قصة حياة ومسيرة فكر

Copyright©2013 Dar al-Nile

Copyright©2013 Işık Yayınları

الطبعة الأولى: 1434 هـ - 2013 م

جميع الحقوق محفوظة، لا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب أو نقله بأي شكل أو بأية وسيلة، سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية،  
بما في ذلك التصوير الفوتوغرافي أو التسجيل أو وسائل تخزين المعلومات وأنظمة الاستعادة الأخرى بدون إذن كتابي من الناشر.

تحرير

يوسف دميرتاش

مراجعة

ويسل فيليك - عبدالله محمد بسطويس

تصحيح

عبد الجواد محمد الحردان

تصميم

حتفي قويوجو

غلاف

ياووز يلماز

رقم الإيداع: ISBN 978-975-315-532-8

رقم النشر

480

**IŞIK YAYINLARI**

Bulgurlu Mah Bağcılar Cad No:1

34696 Üsküdar - İstanbul / Türkiye

Tel: +90 216 522 11 44 Faks: +90 216 650 94 44

دار النيل للطباعة والنشر

الإدارة: 22 ج- جنوب الأكاديمية- التسعين الشمالي - خلف سيتي بنك- التجمع الخامس- القاهرة الجديدة - مصر

Tel & Fax: 002 02 26134402-5

Mobile: 0020 1000780841

E-mail: daralnile@daralnile.com

مركز التوزيع: ٧ ش البرامكة - الحي السابع - مدينة نصر - القاهرة - مصر

Mobile: 0020 1141992888

www.daralnile.com

فتح الله كولن

# قصة حياة ومسيرة فكر

تأليف

أرطغرول حكمة

ترجمة

عبد المولى علي جرييع

خالد جمال عبد الناصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## فهرس

٧	المقدمة .....
١٢	البقة المباركة: أخلاط .....
١٤	أصوله ونشأته .....
٢٢	مولده وطفولته .....
٢٦	في أرضوم بين طلب العلم والمعانة .....
٣٧	أدرنه البذرة في رحم الأرض .....
٤٦	فترة الخدمة العسكرية التضييق الخارجي والتعمق الداخلي .....
٥٣	العودة إلى أدرنه وفترة "قرقلاز ألي" الفسيلة تشق الأرض .....
٥٩	مرحلة إزمير وأزهرت الفسيلة .....
٧٤	الزمن في المخيمات .....
٧٩	أيام المخيمات .....
٨٠	أحداث ١٢ مارس/آذار ١٩٧١م .....
٨٥	أدرميت .....
٨٨	مغنيسا .....

- المحاضرات وحديث المقاهي حتى لا يبقى قلب لم تمتد إليه يد ... ٩١
- لعلك تكفّ عن البكاء يا بنيّ..... ٩٦
- فترة انقلاب ١٢ سبتمبر/أيلول ١٩٨٠م الحنين إلى الوعظ..... ٩٨
- إلى كرسيّ الوعظ من جديد..... ١٠٠
- مرحلة الحوار مع مختلف الفئات..... ١٠٤
- أمريكا: عنوان الغربة الحزينة..... ١١١
- قائمة مؤلفات الأستاذ فتح الله كولن..... ١٣٠
- قالوا عنه..... ١٣٥
- رَجُلُ الْأَسْرَارِ..... ١٤٥
- أرشيف الصور..... ١٤٨

## المقدمة

يدخل بعض الأعلام التاريخ من أوسع أبوابه، فترى بصماتهم واضحة في صفحاته، فالحديث عن الأستاذ "فتح الله كُولَن" هو حديث عن مطلع القرن الحادي والعشرين.

كان الأستاذ فتح الله كُولَن هو العقلُ المؤسس لحركة "الخدمة"، وتُعدّ الخدمة من العوامل الأساسية التي سترقى بالأمة التركية إلى مسرح التاريخ في القريب المنظور، فقد اضطلعت بدورٍ بارز في الإنجازات التي حققتها الأمة التركية في القرن المنصرم، بعد أن مُنيت بالهزيمة والفرقة في آخر قرنين ونصف، وكلّ من له دراية بأيسر مبادئ علم الاجتماع أو من له علم -ولو يسيرًا- عن حركة تاريخ الحضارة، سُرعان ما يُدرك أنّ حركة الخدمة التي انتشرت على مستوى العالم ستُسهم في اكتساب القرن الحادي والعشرين هُويّةً جديدةً؛ فبات مهمًّا للغاية التعرّف على العقل المؤسس لهذه الحركة لنعرفه جيّدًا وندرك مكانته.

لطالما كان الأستاذ فتح الله كُولَن -ولا يزال- موضوعَ كثير من الدراسات والأبحاث في عدد كبير من الجامعات العريقة في أنحاء العالم كافةً، وما أكثر المؤتمرات التي بحثت اتجاهاته المتعددة؛ وبعض هذه الدراسات منشور متداول، لكن ما أقلّ الدراسات التي عُنيّت بسيرته الذاتية؛ وكأنّ السبب أنّ محور اهتمامه كان يتمركز حول تقديم الخدمات لا حول شخصه هو، فهو لا يحبذ أن يتحدث عنه أحد، بل يرى أنّ ما ينفق من الأوقات في دراسات تناول شخصه يذهب هباءً، إذ لا طائل من ورائه.

وهذا من تواضعه، وهو سمة شخصيته المتواضعة، لكننا نرى أنه لا بدّ من التعريف بشخصيته وحياته التي وقفها لخدمة الأمة والإنسانية جمعاء؛ لندرك وتُلمّ بحركة كان هو الرائد الفكري لها.

ودلّت هذه الدّراسة أن ليس في حياة الأستاذ فتح الله أيّ نقطة سوداء، فلم يكن لديه -منذ أن وُلد إلى يومنا هذا- ما يخفيه عن الناس من قول أو فعل، فما عاش حياته لنفسه، فهو ليس ممن يلهثون وراء أهوائهم ونزواتهم؛ بل وقف حياته للأمة وقومُه على ذلك من الشاهدين؛ حقاً إنّه ليس في حياته ما يخفى أو يُستحى منه؛ ولا ينبغي أن تقتصر معرفتنا به على الجانب الماديّ في حياته، بل يجب أن نتخذ من ذلك سُلماً نطلع منه على الخدمة كيف نمت وازدهرت بريادته، يقول "جميل مريج": "الحمقى هم من يقتصرون على معرفة التاريخ كرونولوجياً"، فلا بدّ من سبر حياة الأستاذ فتح الله لِنعِيها كما يجب، وإذا ما أمعنا النظر في حياته فسرى أن ما يقوله أو يفعله من الوضوح بمكان، حتى كأنه نصّ ما أيسر أن يُحلّل ويُفسّر، فأفعاله وأقواله كأنها منظومة معانٍ، وسيكشف البحث في حياته ومؤلفاته أن هذا كلّ حقيقة لا تمت إلى المبالغة بصلة.

نشأ الأستاذ فتح الله كولن في بيئة ذات طابع خاص منذ طفولته، فأسهّم من حوله جميعاً في بناء شخصيته؛ فتربيته في الزوايا على يد الشيخ "ألوارلي أفه"، وما أخذه عن والده في حبّ الصحابة الكرام، وما حصله من علوم في المعاهد الشرعية، كلّ هذا أسهم في تضلّعه بالعلم ومعرفته بالوجود، أمّا أنه ليس كمثله شخص في بيئته فهذا ما لا يختلف عليه اثنان ممن يعرفونه أقراناً كانوا أم معلّمين.

إن التخصّص العلميّ وفقاً لمفهوم العلم الحديث يجعل آفاق المتخصصين سطحيةً ضيقة، فكثير من المتخصصين في فرع ما من العلوم الطبيعية أو العلوم الاجتماعية ليس في جعبتهم عن العلوم الأخرى سوى معلومات سطحية، هذا إن علموا عنها شيئاً؛ أمّا الأستاذ فتح الله فلا يرتاب أحد ممن خبره وقرأ كتبه أو تحدّث إليه أنّه متضلّع في علوم شتى، تعجب له وهو يفيض في الحديث بعمق عن التطورات الطيبة التي لا يعرفها إلا المتخصصون، وبوسعه أن يفعل مثل ذلك في تاريخ الفلسفة الغربية مثلاً، وإذا ما تأملت رؤاه وآراءه ومقترحاته في اللغة التركية وآدابها أدركت أين بلغت به سعة الأفق في هذا أيضاً.

بنى الأستاذ فتح الله حياته على مبادئ ومفاهيم جسّدها قيم مثلى؛ فالفكر والحركة والدقة البالغة في كلّ الأمور خصال رئيسة في شخصيته، بل إنّ المفاهيم الأخرى المنشورة في المقالات الرئيسة بمجلة "سيزننتي (الرشحة)"<sup>٢</sup> لا تعدو أن تكون شرحاً لها، ومنها: الحب، والسّلام، والوفاء، والاستقامة، والولاء، ومن تأمل حياته سيرى أنّ هذه القيم ليست قوالب فكرية فحسب، بل إنّها نمط حياة، كان -وما يزال- مستقيماً عليه في لحظات حياته كلّها، فأحر به أن تكون هذه القيم والمبادئ روح حياته التي أسماها "دنياي الصغيرة"<sup>٣</sup>.

الثوابت المعيارية لأقواله وأفعاله هي الكتاب والسنة أي الأحكام التي شرعها الله فيهما، فمثلاً تجده في أحاديثه وأفعاله يُعلي قدر الإنسان

٢ مجلة شهرية بدأت تصدر في فبراير/شباط ١٩٧٩م، يكتب الأستاذ فتح الله كولن مقالها الرئيس، وهي مجلّة علمية، تقنية، ثقافية، أدبية، تربوية، اجتماعية، وما زالت تصدر حتى الآن.

٣ كتابٌ مُجمَع من حوار أُجري مع الأستاذ فتح الله كولن عن حياته منذ نشأته حتى إطلاق سراحه بعد سجنه عقب انقلاب ١٩٧١م.

ويبحث قضاياها في حدود ما خُلِقَ له؛ ولرؤيته هذه أثر كبير على الإنسان، فعندما تلج حيث يقيم في أمريكا تطالعك لوحة معلقة على الجدار كُتِبَ عليها "خُدعَ الإنسان، ما أخسرَه!"، وهي إحدى اللوحات التي تطالع من يأتيه زائراً، وكأنها تُهيب بالناس أن ينتبهوا إلى ما في عواقب فعّالهم من خسران، ولو أن الأستاذ فتح الله كتب رواية لأسمائها "خُدعَ الإنسان، ما أخسرَه!"، هكذا كان يقول.

الاتزان والاعتدال في الوعظ والإرشاد من أبرز خصائصه، وهذا لا يعني السلبية والجمود والتبعية؛ بل هو سلوك من يحتضنون الوجود بأكمله، وينظرون إلى كل القضايا في إطار هذا الكمال، ففي حديثه عن تاريخ الإنسانية يرى أنه يجب تقييمه في ضوء تاريخ الفرص الضائعة للسلام لا بتاريخ العداوات، فالبشر بينهم نقاط مشتركة في المجالات كافة، فمثلاً إذا ما أنعمنا النظر في مقالاته المنشورة في كتاب "التلال الزمرديّة" التي كَسَت المصطلحات الصوفية حُلَّة قشبية، فنسجد أنه لَطالما كان يكشف عن محلّ وفاق في قضايا في الحضارة الإسلامية كانت محلّ نزاع انتهت المناقشات العلمية فيه إلى الاتهام والسخرية أحياناً، وكان الأستاذ فتح الله لا يألُو في الكشف عن ثراء تلك النقاط.

ما توخينا استعراضه من موضوعات في هذه المقدمّة هدفه الكشف عن أنّ فهم شخصية الأستاذ فتح الله ضروريّ؛ فمعرفة حياته من الجانب الماديّ لا تُغني شيئاً، بل لا غنى عن المثابرة على فهم حياته وسيرها وترك النظر إلى ما طفا على السطح، بل الغوص الغوص إلى الأعماق؛ فهدف هذا الكتاب هو التعريف به، وهذا لا يتحقق إلا بسبر شخصيته،

فالقراءة وحدها لا تغني شيئاً، بل لا بدّ من سبر أغوار ما تقرأ.  
 في كتاب اسمه "دنياي الصغيرة" نُشرت مذكرات أدلّي بها في حوارٍ،  
 فسُلطت الضوء على حياته، فاتخذتُ من هذا الكتاب مصدرًا رئيسًا، لا  
 سيما أنّه عُنِي بآيامه في مدينتيّ "أدرنه" و"إزمير"، وزدّت عليه ذكريات  
 كانت في تلك الأيام، وهي بالغة الأهمية؛ إذ إنّها تكشف اللثام عن  
 شخصيته المتميزة كيف كان يقرؤها من كانوا حوله في فترات حياته  
 المختلفة، وتُسهّم فيما نقدّمه هنا في محاولة منّا لفهم حياته؛ وأفدّت أيضًا  
 بمذكراته والحوارات والصور على موقعه (tr.fgulen.com) وعلى صفحة  
 "الأكاديمية"<sup>٥</sup> في جريدة "الزمان"<sup>٦</sup>.

أمّا حياته وعُزُلته في أمريكا وما فيها من أحداث -وأعني بذلك  
 السنوات الأخيرة منذ عام ١٩٩٩م- فسنعرج عليها بإيجاز؛ نظرًا لقصّرها  
 مقارنة بالمدة التي قضاها في تركيا.

ومن يُصغ إلى مواعظه حينئذ ويتأمل فيما جُمع منها في سلسلة  
 "الجرة المكسورة"<sup>٧</sup>، يتضح له ما كان يتكبده في غربته من أوصاب وهموم  
 في سبيل الوطن والأمة والعالم أجمع.

وكلّنا أمل أن يُسهّم هذا الكتاب في سبر شخصية ذات أبعاد جمّة  
 غفيرة كشخصية الأستاذ فتح الله كولن، لا أن يعرّف به فحسب.

٥ صفحة أسبوعية تُنشر في جريدة "الزمان"، وتُجمَع من مواعظ الأستاذ فتح الله كولن، نُشرت أولًا باسم صفحة  
 "الأكاديمية" ثم باسم "الكريسي" بدءًا من مايو/أيار ٢٠٠٦م.

٦ جريدة بدأت تصدر في ٣ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٨٦م بتوجيه وتشجيع من الأستاذ فتح الله، بلغ عدد قُرَائِها  
 مليون قارئ، وتُنشر في عدة دول غير تركيا، منها أمريكا، وبعض دول أوروبا وشرق آسيا.

٧ مقالات تُنشر أسبوعيًا على الموقع [www.herkul.org](http://www.herkul.org) في نافذة (قريب تنسي "الجرة المكسورة")، وقد  
 جُمعت من مواعظ الأستاذ فتح الله كولن في أمريكا، وأصبحت سلسلة في كتاب بلغ ١٢ جزءًا في نهاية عام  
 ٢٠١٢م.

## البقعة المباركة: أَخْلَاطُ<sup>٨</sup>

تنحدر أصول الأستاذ فتح الله كولن من مدينة أخلاط، ولا بدّ لإدراك كنه هذه السلالة من أن نذكر أولاً الدور المحوريّ لمدينة أخلاط في التاريخ الإسلامي، فهي بؤابة الإسلام إلى الأناضول، وأوّل رقعة مباركة في الأناضول يُرفع فيها الأذان ويُذكر فيها اسم الله ورسوله ﷺ.

وبسقت من فسائل الإسلام في هذه المدينة أشجار شاهقة، انشعبت أغصانها حتى أظلّت الأناضول، ثم فاح عبيرها في العالم كلّه بزيادة العثمانيين، فأخلاط هذه هي مهد الإسلام في بلاد الأناضول، ثم كان من فسائلها ما كان في نشر عبير الإسلام.

وإذا كانت أقدم شواهد قبور الأناضول الآن في أخلاط، فهذا يُجلبّي لنا مقام الأمّ الذي اضطلعت به أخلاط منذ قرون عدّة، نشر أبنائها الإسلام في مناطق هجرتهم التي أرغمتهم عليها الكثافة السكانية في أخلاط، فعلى أيدي هؤلاء المهاجرين انتشر الإسلام في بلاد الأناضول والبلقان، فمن أخلاط كانت الهجرة المباركة، ومنها أشرق التاريخ التركيّ الإسلاميّ، وغدت جسراً عبّر منه الإسلام إلى قلب الأناضول ثم إلى الغرب... فأخلاط في قِمْهَا ظرفٌ لأزمنةٍ انصهرت في ماضٍ عريق، بوسعنا أن نتذكّر الحياة فيها أمّا أن نحكيها فهيّيات، فعينها ساهرة على ماضيها تبيت

---

٨ هي مركز تابع لمحافظة "بُلبُلس" في منطقة شرق الأناضول، وهي تقع على الساحل الشمال الغربي من "بحيرة وان" بتركيا. (المترجم)

تحرسه كما تصون شرفها، عذراء لم تمسّها الحداثة بسوء ولو بنظرة، ولم تقدر أن تحوّل ماضيها إلى "حاضر"، فأخلاط ساحرةٌ خلّابةٌ دائماً بحالها هذا وموقعها ذلك.

حقاً إنّ الجنود هم من فتحوا إسطنبول بعُدّتهم وعتادهم بقيادة محمد الفاتح، إلا أنّ أخلاط هي التي نفخت الروح في إسطنبول لتجعل منها مدينة عثمانية، فأخلاط بالأحرى هي التي أنقذت إسطنبول من نير الغزو الثقافي للبيزنطيين، وهيات الأجرى لدخولها في الإسلام؛ وأخلاط أحقّ من بُورصة بلقب "المدينة الروحية"، نعم كان لبورصة يد في الدولة العثمانية، إلا أنّ أخلاط كان لها اليد الطولى في نشر الإسلام في الأناضول، ومنها إلى المناطق الأخرى، فلطالما عُنيّت أخلاط بفسائلها التي عُرسَت فيها، وأهدت أغصانها بأريجها الفوّاح بالهدى والسلام إلى أنحاء العالم كافة.

ومن أغصان تلك الفسائل ذريّة "خليل أغا"، هاجرت فيمن هاجر وعبق الهدى يرشح منها، رحل خليل أغا وذريته وفي جعبتهم كلّ ما كان في أخلاط من ثراء روعي وتاريخي؛ رحلت العائلة من أخلاط لظروفٍ خاصّة، وكانت تحمل معها بذرة مباركة من بقعة مباركة، ثم ولّت وجهها شَطْر "أرضُروم" "قلعة الإسلام في الأناضول".

## أصوله ونشأته

انتقلت عائلة الأستاذ فتح الله إلى مركز "باسينلر" ("حسن قلعة" سابقاً)، ثم إلى قرية بين باسينلر وأرصوص تُدعى "قوروجق"، ومنذ أن حلَّ جدّه الأعلى خليل أغا بهذه المنطقة كانت تراوده أحلام العودة إلى أخلاط، بيد أنّ العائلة لم تستطع أن تعود، فاستقرّ بها المقام في قرية قوروجق حتى غدا أكثر أهلها منها.

الإنسان في علم النفس الحديث إن هو إلا نتاج البيئة والوراثة؛ وهذه الفكرة وإن كنّا لا نسلّمها بإطلاقها، إلا أنّ تأكيده على البيئة التي يتربّى فيها الفرد له أهميته، فمن يسبر حياة الأستاذ فتح الله يتبيّن له أن بيئة أسرته التي تربّى فيها كان لها بالغ الأثر في شخصيته، وأنها أساس في تكوين أهمّ خصال حياته "الفكر والحركة والدقة"، لقد اصطبغت بيئة أسرته بصبغة الإسلام وهديه رغم كلّ الصّعاب والعقبات في ذلك العصر، بل إنّ كل فردٍ في الأسرة كان قد اصطبغ بصبغة الإسلام.

كان لخورشيد أغا بن خليل أغا ولدان: سليمان أفندي والمُلاّ أحمد، اشتغل سليمان أفندي بالتجارة؛ أما الملا أحمد والد شامل أغا جدّ الأستاذ فتح الله فقد أثر الزهد رغم أنّه أوتي سعة من المال، فالزهد والتقوى لباسه، ورياضة النفس أساسه، فله في حُبيبات الزيتون غناء، قويّ البنية، طويل القامة، مهيب، يحترمه الناس جميعاً، في إشراقاته الروحية سرّ عظمتة الحقيقية، حياته كلّها تنشك وتعبّد، لم يُعهد عنه التواني في أداء العبادة، وأصبح يقوم الليل كلّهُ في العقود الثلاثة الأخيرة من عمره،

لا يغمض له جفن ولو في السَّحر عندما يصرِّع التَّوْمُ السُّمَّار، ولا يغفو سوى ساعة أو ساعتين فحسب.

كان شامل أغا جدَّ الأستاذ فتح الله أشبه الناس بوالده، فهو مثال الوقار، والحيطة، والجدية، والشَّدة في أمر الدِّين، فحياة الرُّوح هي محور أفعاله، فشعاره "اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة"، وهو رجل جادّ وقور يحترمه الناس جميعاً، حياته حياة الأولياء؛ يتهدج حتى الفجر، وله في لُقيمات يقرن صلبه الغناء، يصوم حتى تظن أنه لا يفطر، له من الأشقاء أربعة: شاكر أغا، وعاكف أغا، وذاكر أغا، ومحمد علي أغا.

وما إن حطَّت العائلة رحالها في قُورُوجُق حتى اضطرت للهجرة مرتين:

الأولى: أثناء الحرب العثمانية الروسية (١٨٧٧-١٨٧٨ م) المعروفة بـ"حرب ٩٣"، اضطرب أمر العائلة، فرحل الملا أحمد بأسرته إلى ضواحي مدينة "سيواس"، وأعوّزت العائلة هناك، فلما انتهت الحرب عادت إلى قُورُوجُق.

في عام ١٨٩٠ م بُعيد العودة الثانية إلى قُورُوجُق بنحو ٨-٩ سنوات؛ توفي الملا أحمد.

الثانية: إبَّان الحرب العالمية الأولى، ففي هذه المرة ذهب شامل أغا بأفراد الأسرة إلى إحدى قرى "يَزْكُوي" في مدينة "يُوزْغات"، وما إن انتهت الحرب حتى عادت العائلة إلى قريتها في أرضروم، عادت مترجِّلة لما حلَّ بها من ضيق ماديّ.

٩ اشتهرت هذه الحرب في التاريخ العثماني بـ "حرب ٩٣" لوقوعها عام ١٢٩٣ من التقويم الرومي.

ورغم هيبة شامل أعا العظيمة، إلا أنه كان بينه وبين حفيده فتح الله اتصال روحي لم يستطع أحد أن يلحظه، كان يحب حفيده كثيراً وإن لم يكن يظهر ذلك، فما رُئي هذا الرجل العثماني يبكي قط إلا عندما رأى حفيده لأول مرة بعد غياب كان لسبب تعيين والده إماماً في قرية ألوار، احتضنه فأخذه البكاء، وفاضت مشاعره بهذا الشَّعر:

غادرت وردتنا البلد الذي      جفاه أحتي والعنديل  
فابك إن شئت حبيبك أو دع      واضحك إن شئت فالبين نحيب

ولشامل أعا ستة بنين و بنت اسمها دُردانة، والبنون هم: رامز وراسم ونور الدين وأنور وسَفَر وسيف الله.

أما أجداد الأستاذ فتح الله لأمه فلا تكاد تختلف بيئة حياتهم الروحية عن أجداد أبيه في شيء، كان جدّه أحمد أعا حفيد فُورْت إسماعيل باشا ورِعاً حتى إنّه -رغم كثرة معارفه- لِيَحْشَى الذهاب إلى المدينة حدراً من أن يُقارِف ذنباً، وكان يختم القرآن كل أسبوع مرة فأكثر؛ أما جدّته السيدة خديجة فهي من سلالة حامي أدرنه شكري باشا.

كان للأستاذ فتح الله خال اسمه عبد الرزاق طُوب، قضى عنده فترة من طفولته، وهو إحدى فرائد عقده الروحي، وصفه الأستاذ فتح الله بأنه من "أهل القرآن"، وقال: "إنني لأشبه الناس به في خلقته لا سيما العينين". ولجدّته لأبيه السيدة مؤنسة أترٌ بليغ في حياته، فكم كان يذكرها في مواعظه وإنّ لأينها ونحيبها من خشية الله أتراً كبيراً في نفسه، فعبادة الله ومحبته محور حياتها، حتى إنّها إذا سمعت اسم الله لم تملك عينيها، صوامة صامت اثني عشر عاماً متصلة، يصفها الأستاذ فيقول: "يا لله كم أتر في عمقها مثل البحار الهادئة، فبشائر الإيمان عليها بادية، وصلتها بالله

ظاهرة، كانت مبتسمة وكان جل ضحكها التبسم". وفي هذا ما يشير إلى أنها كانت تجتهد في أن تجعل من أفعالها مرآة للإسلام.

في عام ١٩٠٥م وُلِدَ رامز أفندي والد الأستاذ فتح الله، حالت هجرة الأسرة وما فيها من عقبات بين رامز أفندي والاستمرار في طلب العلم، إلا أنه بعزمه وإرادته تعلّم تلاوة القرآن الكريم في عقده الثالث، وسرعان ما رقي به شغفه بالقراءة والعلم على سُلّم العلوم الشرعية، حتى إنّه عُيِّنَ إمامًا؛ كان من سمته الدقّة البالغة في الحياة والخشوع في الصلاة، يستثمر وقته بدقّة، فتجده يملأ الفترة ما بين عودته من الحقل إلى إعداد الطعام بقراءة الكتب، وهو في الطريق تجده يقرأ القرآن الكريم أو يذاكر ما حفظه من نَظْم العربية والفارسية؛ كان مضيافًا، لا يكاد بيته يخلو من العلماء وكأنّه معهد شرعي؛ كان قويّ الحافظة حادّ الذكاء، كان يتميز -فضلاً عن هذا كلّه- بالدماثة، ففي هذا المقام يقول الأستاذ محمد قِرْقِنجِي: "يا له من رجل! فرغم نشأته في قرية إلا أنه يباري من تربّى في مدرسة أندرون العثمانية" من النبلاء، فأُنْ عَرَفَ متى وكيف وبأي أسلوب تتحدث تعوزك لهذا تربية خاصّة وأخلاق سامية".

من الخصال البارزة في رامز أفندي تعلّقه بالصحابة الكرام رضي الله عنهم حتى لكأنّه مجنون بهم، وكثيرًا ما كان يقرأ عن حياتهم؛ فورث عنه الأستاذ فتح الله هذا الحبّ الجَمّ لهم، بلغ ولع رامز أفندي بالصحابة أن أهل بيته كانوا يشعرون أنّهم والصحابة أسرة واحدة، فذكرهم ديدنه،

١٠ مدرسة في القصر العثماني أُسست في عهد السلطان مراد الثاني، وحُدِّثت في عهد السلطان محمد الفاتح، هدفها تربية الهيئة الإدارية والعسكرية للدولة، وتأهيل القوى العاملة في العاصمة العثمانية وفي الطبقة البيروقراطية في الريف.

والحديث عنهم متعته، ولو رأيت هذا العاشق الولهان يحدث الناس عن الصحابة ويسرح بناظريه في الأفق لحسبته يراهم رأي العين.

كان رامز أفندي -في رأي الأستاذ فتح الله- أرضاً طيبة يُستنبت فيها الطيب النافع، إلا أنّ الأجواء لم تأذن للرياح أن تسوق السحاب إلى هذه الأرض، وكان مدرسةً في الورع، كان إذا عاد بالبقر من الحقل يلجمه لثلا يأكل من عشب الحقول ولو قليلاً.

تربية الشوق هي نمط علاقة الأستاذ فتح الله بوالده، كان يجلس بين يديه ليتعلم القرآن، فيحبب إليه حفظه، ولم يكن ليظهر حبه لولده أمام أحد رغم أنه كان يحبه حباً جماً.

أمّا والدة الأستاذ فتح الله فهي السيدة رفيعة، معلّمة الأول، وهي من أسرة عريقة، فعُمها هو مفتي الشام يومئذ، كانت ربّة منزل فيه خمسة عشر فرداً تقوم على شؤونهم، ومع هذا دأبت على تعليم نساء القرية القرآن رغم الأخطار في الفترة التي حُظرت فيها قراءة القرآن وتعليمه؛ علّمت وليدها فتح الله قراءة القرآن وهو في الرابعة، وما إن تعلّمه حتى قرأه كلّه لأول مرة في شهر، فكان للسيدة رفيعة أكبر الأثر في حياة الأستاذ فتح الله بعشقها لتعليم القرآن الكريم، ومواظبتها على أداء العبادة، وحياتها المملأى بالمسؤوليات.

يا لله ما أوثق صلة هذه السيدة برّبها! ذات ليلة همّ الأستاذ فتح الله ابن الثانية أو الثالثة عشرة أن ينام قبل أن يصلي العشاء، فأذنته أمّه بالصلاة، فأجاب: "إنني مُرهق، لعلّي أستيقظ ليلاً وأصلي"، فقالت: "ربما يشق عليك ذلك، فتفوّت الصلاة، ثكلتُك الليلة إذا لم تنهض لتصلي". بلغ بها إيمانها أنها تستغني عن فلذة كبدها إن لم يأت بما أمر به الله.

بين الأستاذ فتح الله وأمه وشيخة حبّ وثيقة، فهو يدها اليمنى في البيت، إذ إنها -وهي مريضة- كان لها ثمانية أولاد ترعى شؤونهم، فكان الأستاذ فتح الله -وهو يحفظ القرآن في هذه الآونة- يغسل الملابس والأطباق، ويطبخ ويعجن؛ نعم فدأب أمّه على تحفيظ القرآن، ورعاية أولادها رغم أنها مجهّدة مرهقة، ومواظبتها على أداء الفرائض حقّ الأداء، كل ذلك كان له بالغ الأثر في حياته.

توفي ثلاثة من إخوته العشرة وهو طفل، كانت السيدة نور الحياة أكبرهم، ثم فضيلة إلا أنها وافتها المنية وهي طفلة، ثم الأستاذ فتح الله، فصبغة الله، ثم المسيح، ثم فقير الله إلا أنه توفّي وهو طفل، ثم حسبي<sup>١</sup>، فصالح، وفضيلة، ثم نظام الدين إلا أنه توفّي وهو طفل، ثم قطب الدين أصغرهم؛ وبين الأسرة عرى وثيقة من الحبّ والتقدير، فعندما غادر الأستاذ فتح الله أضرّوم إلى أدرنه ومنها إلى الجيش لم يكلم المسيح أحدًا خلال أربع سنوات فارقمهم فيه أخوه الأكبر، فقلّمًا يتحدث إلى أحد، إذ صار شغفه بأخيه فتح الله حجابًا بينه وبين الناس. كذلك كان الأستاذ فتح الله، يحكي أن أحنًا له توفيت في طفولته فبكى عليها كثيرًا وزار قبرها كثيرًا وكان يدعو: "اللهم ألحقني بأختي لأراها".

يُروى عن أمّه وذوي القربى القريبة أنّ أصوله من جهة أبويه من شجرة أهل البيت المباركة، لكن الأستاذ يقول: "إنّه لا يمكن القطع بشيء في هذا؛ فكتاب شجرة العائلة مفقود".

ومن ألمع الحلق التي تشكّل منها عقد الروح في حياة الأستاذ فتح الله: الشيخ "ألوازي أفه"، فهو واسطة العقد، بل كأنه مغنطيس المعنى

١١ حسبي ندائي كؤلن توفي في ١٢ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١٢م.

ومنبع تتغذى منه روح الأستاذ فتح الله، فالحديث عنه قبل دراسة حياة الأستاذ فتح الله ضروري جداً؛ لنطلع على معرفة بيئته التي ترعرع فيها.

برزَ الشيخ ألوازلي أفه في طليعة علماء عصر الجمهورية، فنشأته شهدت أفول الدولة العثمانية وظهور الجمهورية، وله أثر كبير على الأستاذ فتح الله في تربيته وتعليمه، يقول الأستاذ: "الشيخ ألوازلي أفه هو اليد الخفية التي كانت وراء ما أجده من مشاعر؛ فتربى في أرضٍ كان ينوعها السيد ألوازلي أفه؛ وكان له في قلوب الأسرة كلها حبّ جمّ وتقدير وتوقير، يقول الأستاذ: "أذكر أن خالي كان يجله حتى لكأنه يكاد يبسم كل ما ذكر اسمه؛ أما خالتي فهي مُتَمِّمَةٌ بهذه البيئة، ولأبويّ وشيخة عريقة به... فمنذ أن رأيت النور ألفت أبويّ يرتشفان من هذا الينبوع الصافي كأنهما ظمآن برّح به العطش".

وتحدّث عن صلته بالشيخ ألوازلي أفه فقال: "لم يكن ينبس بنت شفة إلا حسبتها إلهاماً من عالم آخر، فعندما كان يحدثنا كنّا ننصت إليه كأنّ على رؤوسنا الطير، وكأننا نسمع كلاماً حديث عهدٍ بربه! لا أدعي أنني أحطتُ به فهماً؛ فيوم وفاته كنت في السادسة عشرة، إنّه الروح التي دغدغت باكورة الروح والمعنى في حياتي، يتنزّل بأسلوبه لأعي عنه وأفهمه لا سيما أنني صغير لا يبلغ عقلي ومداركي كنهه؛ لقد عاش عظيمًا، لكن لم يجد الكبير إلى قلبه طريقًا، كان يطوف في كعبة القرب من الله، لا يأبه لشيء من الأبهة والعظمة، فهو كطير حوما ترى ظلّه لكنك لا تراه".

أحبّ الشيخ ألوازلي أفه الأستاذ فتح الله أيّما حبّ، وكان يناديه "تلميذي"، ولا يرضى أن يفارقه بتأتًا، ولما بلغه أنه سيتعلّم العربية على

يد معلّم آخر، استدعاه وقال بوقار بنبرة يخصّه بها: أحلف بالله ثلاثاً أنك لو ذهبت لمُزقت إِرْبًا إِرْبًا.

وغدت تلك الحلقة واسطة العقد في عالمه الروحي، ولطالما تجلّت آثارها في روحه، فتربية الأستاذ فتح الله منذ نشأته كانت في بيئة علمٍ تسود أجواءها ألطاف روحية، إنها بيئة مفعمة بنسائم حياة التكية الروحية تارة، وبعلم المعاهد الشرعية تارة أخرى، ذلك هو المناخ الذي نشأ وترعرع وتربى فيه الأستاذ فتح الله.

## مولده وطفولته

ولد الأستاذ فتح الله في ٢٧ نيسان/إبريل ١٩٤١م وفقاً لبطاقته الشخصية، لكن تاريخ ميلاده الحقيقي قبيل هذا بنحو عامين أو ثلاثة، فالمواليد في بيئته وعصره لم تكن تُقَيَّد على الفور، وكثيراً ما يشير في ذكرياته إلى أنه ولد قبل هذا.

أمّا طفولته وفتوته فلم تكن كذلك التي عاشها أقرانه؛ فلنشأته مناخ متميز هيّأته له خصائص أسرته آنفة الذكر، وملازمة أهل الذكر والقلوب النيرة لبيتهم بسبب حب والده رامز أفندي للضيوف عامّة وللعلماء خاصة، ومن حديثه عن هذه الفترة: "للعلماء والمشايخ رعاية وحظوة خاصّة في بيتنا، ومن المحبوبين المشهورين الذين كانوا يأتون بيتنا على الدوام الشيخ ألّوّازلي محمد لطفي أفندي، وأخوه السيد وهبي أفندي، وسرّي أفندي، وشهاب الدين أفندي... لم أجالس أترابي وأقراني قطّ في طفولتي أو فتوتي، فديدني أن أجلس إلى الكبار وأصغي إليهم، حتى أصبح ذلك خلقاً فيّ، ولوالدي أثر كبير في هذا؛ فحديث هذه المجالس تطرب له الأذان وتستملحه العيون، لا سيما حديث الشيخ ألّوّازلي فكلما حدثك قلت: هل من مزيد؟ وربما لم أستطع فهم كلّ ما كان يقول، لكنني كنت أحفظه كلّهُ؛ فأحكيه لأمي وجدتي وأزواج أعمامي، وهذا له مذاق خاصّ عندي".

وبدأ ابن الرابعة يتعلم القرآن الكريم بالتزام ودقّة عالية، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية في قريته عامين أو ثلاثة، إلا أنه تركها عام ١٩٤٩م

عندما عُيِّن والده رامز أفندي إمامًا في قرية أَلُوَار، ثم استكمل الابتدائية في أَرْضُوم بالانتساب.



مسقط رأس الأستاذ فتح الله في قرية فُورُوجُق بمدينة أرضوم

بدأ ابن الرابعة الصلاة وواظب عليها، حتى إنه قضى في الآونة الأخيرة ما أذاه في مرحلة عمرية معينة قائلاً: "ربما أخطأت في أداء الصلوات حينئذ"، وكان لا يتهاون في أداء الصلاة وهو في المدرسة ولو على مقعده، رغم سخرية أحد معلميه وغضبه؛ أما المعلمة بَلْمَاء هانم -وهي من إسطنبول- فكانت على خلاف هذا المعلم، فهي تجيد فن الحديث مع طلابها، وتثني على فتح الله في اجتهاده وتفوقه وأدبه؛ وجدت اسمه ذات مرة في قائمة الشُّعْب في الفصل، فقالت له في دهشة "حتى أنت؟!!" والحرّ تكفيه الإشارة ففيها أشدّ الإيلام، وكانت هذه المعلمة على يقين بأنّ لتلميذها مستقبلاً واعداً، وقالت في هذا

لطلابها مشيرة إلى فتح الله: "كأني أرى الآن بينكم ضابطاً شاباً يصول ويجول على جسر غَلَطَة".

وتحدّثنا عن تلك الأيام وهي فخور بما يقدّمه الأستاذ فتح الله اليوم، تقول: "لم يكن فتح الله كغيره من الطلاب؛ ولد وقور، مجتهد، محترم، واسع الأفق، كنت أفخر به... لم يكن مشاكساً كغيره؛ كان قوي البنية أبيض، يجلس في آخر الفصل عند النافذة، ينظر إلى المعلّم بيقظة وانتباه، لا يتباهى بنفسه أبداً، متزناً جداً، يشاهد ما يقع من أحداث، ولا يقحم نفسه فيها ألّبتة؛ إذا عزم على أي شيء فعله، كان رزيناً، من خلقه ترك ما لا يعنيه، يراقب عن بعد ولا يُقحم نفسه، دائم التفكير، بعيد العُور، الأدب والهدوء شيمته.

أنا بوصفي تربوية أفخر به، فلما قام به من إنجاز في التربية والتعليم في تركيا وأنحاء العالم كافة دور الرّائد في تعريف العالم كلّ ببلدنا وأمتنا، فما قام به يكفي لكي أفخر به".

ولم يكن يقتصر تميزه على أترابه في سلوكه وأفعاله فحسب، بل هناك مواقف أخرى تظهر هذا التميز؛ استيقظ ابن السابعة أو الثامنة ذات ليلة قائلاً: "لبيك يا رسول الله"، وكانت أمّه بجواره حينئذ، فأذهلها ذلك، ومضى على هذا الليالي عدّة، فقلقت وخافت عليه، فأخبرت زوجها رامز أفندي؛ وذات ليلة راح رامز أفندي وزوجه يراقبان ما يجري، فتكلم فتح الله وهو نائم، لكنهما لم يفهما شيئاً مما تحدّث به، فلما استيقظ سُئل عن هذا، فلم يقل شيئاً، وأغلق الموضوع.

عُنيّ الفتى بالعبادات منذ نعومة أظفاره، وتلك ميزة أخرى، ففي العاشرة سألته أمه: أين كنت يا بنيّ، لقد قلقت عليك؟ فقال: في المسجد

يا أمي، صليت سبعين ركعة، فسألته: "وماذا كنت تصلي يا بني؟"، فقال: قضيت الصلوات الفائتة؛ وفي الليالي المباركة كان يعود إلى البيت متأخراً، فتقول أمه: "إمام المسجد عاد مبكراً ونام -تشير إلى زوجها- فلماذا تأخرت أنت؟" فيقول: "ما زلت أصلي يا أمي". تعلم الصلاة في الرابعة فواظب عليها، وكانت حليته، فكلما وجد فرصة تجمل بها، فكانت قرّة عينه في الصلاة.

## في أضروره بين طلب العلم والمعاناة

حفظ الفتى القرآن الكريم عام ١٩٥١م، وإذا حفظ وِرَدَه راح يساعد أمه في البيت أو عكف على الكتب يقرأ ويقرأ، لقد قرأ كتب أبيه كلها لا سيما كتب حياة الصحابة الكرام؛ فهو يتقن قراءة الكتب العثمانية منذ صغره، وفي هذه الفترة أخذ عن والده اللغة العربية والفارسية، ولما حفظ القرآن، أخذ التجويد عن الحاجّ صدقي أفندي في "حسن قلعة"، ولم يكن له مسكن هناك؛ فكان يمشي كل يوم مسافة ٧-٨ كيلو مترات من ألواز إلى حسن قلعة.

ألقي الأستاذ فتح الله في تلك الحقبة أول موعظة، فكانت نموذجًا مهمًا كشف عن غزارة علمه ومهارته الفذة في الخطابة؛ كان أبوه رامز أفندي يعظ الناس في رمضان بعد الإفطار في مسجد قرية ألواز، فتأخر ذات ليلة، وكان فتح الله يغدو إلى المسجد مبكرًا، وعمره آنذاك أربعة عشر عامًا؛ فاجتمع المصلون، فإذا بوجيه من ألواز يحظى باحترامهم جميعًا يدعى كاظم أفندي ينظر إلى الفتى فتح الله، فتلتقي أعينهما، فينهض كاظم أفندي ويلبس فتح الله جبة رامز أفندي وعمامته في دهشة غمرت المصلين وفتح الله أيضًا؛ فسنة أصغر من أن يقف مثله ليعظ هذا الحشد، بل إنه لم يكن يطول كرسي الوعظ، فحملوه وأجلسوه عليه؛ وما إن شرع في الموعظة حتى أخذت الجماعة -التي لم تجد تفسيرًا لتقديم هذا الفتى لكرسي الوعظ- تنصت إليه بذهول، وكم عجبوا لهذا

الصوت الذي يدوي من على كرسيّ الوعظ، فكان لموعظة الفتى أبلغ الأثر على الجماعة.

أتم الفتى دراسته في ألواز ولما يقرّر والده رامز أفندي ماذا سيفعل، فقال الشيخ ألوازي أفه: علينا أن نعلم هذا الفتى، فبدأ فتح الله يدرس اللغة العربية في أرضوم على يد سعدي أفندي حفيد الشيخ ألوازي أفه؛ ورغم أنه شاب مستقيم نزيه يكبر فتح الله بـ ٥-٦ سنوات إلا أنه كان قصير الباع قليل الخبرة في أساليب التدريس؛ فلم يكن ليروي ظمأ فتح الله؛ وكان فتح الله يتردد حينئذ على قرية ألوار لئلا ينقطع عن مناخ الشيخ ألوازي أفه.

وصف الأستاذ فتح الله نظام مذاكرة الدروس فقال: أذاكر دروسي الأول فالأول، أفضي الليل في المذاكرة ولا أنام إلا قليلاً، أستضيء بشمعة، فلا حيلة لي سواها، ولا تمر ليلة دون أن يمر المعلم بي يتفقدي خفية، فيسعد بي كلما رأني أذاكر.

توفي جدّه شامل أغا وجدته السيدة مؤنسة في ساعة واحدة عندما كان يدرس في أرضوم عام ١٩٥٤م، فحزن لفقدهما كثيراً، يقول: "بكيت أياماً وليالي، دعوت ليل نهار: اللهم ألحقني بجدي وجدتي لأراهما... لم أعتد على فراقهما حتى الآن، فكلمتا تذكرت واحداً منهما تلتظي قلبي على مثل الجمر، وتأثرت كثيراً؛ وفي هذا ما يبين عن منزلة جدّه وجدته وأهميتهما في حياته.

وقعت حادثة أخرى في هذه المرحلة الدراسية، فزلزله، توفي الشيخ ألوازي أفه... انقشعت سحابة العناية التي أظلت حياته العلميّة والروحية، يصف وقع وفاة الشيخ عليه، فيقول: "كنت في ذلك اليوم في ألوار، وأظنه

وقت الضحى، وبينما كنت أستجمّ متكئاً على أريكة في ردهة المنزل، إذا بي أسمع صوت هاتفٍ، إنه ليس ببناء بل هو صراخ! صراخ أصك مسمعي بقوله: "مات أفه!؛ ففزعت، وأخذت معظفي، وهُرعت إلى بيت الشيخ، ولما بلغت البيت باغتتني الفاجعة، فالشيخ ألوازلي أفه مات حقاً حقاً... فبكته الدنيا العتيقة، فقد ترك فراغاً أنى له أن يُملأ من بعده! أيام وشهور من الأنين والنحيب... أما مقلة الروح فما جفت مآقيها حتى اليوم".



قبر شامل أفه جد الأستاذ فتح الله وحدته مؤسسه هانم في قرية قوروجق بمدينة أرضروم

في هذه الفترة رحل والد الفتى فتح الله عن قرية ألوار، ليصبح إماماً برهةً من الزمن في قرية "أرتزو".

واستقرّ الفتى بمسجد "قوشنلو" بمدينة أرضروم في مدرسة كان يُدرّس فيها سعدي أفندي من قبل، مدرسة صغيرة سقّفها خشب، يقيم فيها خمسة طلاب أو ستة؛ وقد عانى فتح الله كثيراً، فرغم المشاق التي

جابهته إلا أنه واصل طلب العلم، يحكي عن تلك الفترة فيقول: "كان لدينا موقد غاز، نطهو طعامنا ونأكله في غرفة نومنا؛ كان الطلاب الموسرون يغتسلون عند الحاجة في حمامات "فريق جشمه"، أما الفقراء فأحياناً كانوا يحصلون على تذاكر مجانية، وإلا تجشموا الأمرين، وأنا منهم، فكم كنت أغتسل في المراحيض في الشتاء القارس، فتلزق قدماي بالجليد، فأغسل واحدة وأضعها على الأرض ثم أغسل الأخرى، إن أنس لا أنسى الماء البارد وأنا أصبُه على رأسي، كنَّا حقًا في ضنك وضيق؛ ولهذا اضطر الفتى فتح الله لقبول مكافآت على ختمه القرآن الكريم أثناء دراسته، ولطالما ضاق بهذا الأمر، كان يرى أن ما اضطر لأخذه لاستكمال دراسته وهو شائب ضرورية، والأصل عدم الجواز؛ فلما عُين إمامًا وتقاضى راتبًا ردّ ما أخذه وهو في أضرورم، وأرسله مع أخيه حسبي عندما جاء يزوره. ويسترعي الانتباه ما ذكره حافظ سعدي قايخان زميل الأستاذ فتح الله

عن الحياة في المدرسة بجامع قُرْشُنْلو، يقول:

"التحقت بمدرسة قُرْشُنْلو عام ١٩٥٣م، كان الأستاذ فتح الله آنذاك طالبًا فيها، فتعرفت عليه، كانت المدرسة يومئذ مهملة، ومن يرضى الطلبة هم قلة من ذوي الغيرة على الدين؛ لم يكن يُطهى في المدرسة سوى البطاطس، وكانت كل غرفة تطهو طعامها بنفسها بالتناوب، وكان الأستاذ فتح الله هو من يطهو دائمًا في غرفته، وكان يفتح شهيتي عند كل طعام ويقول: "طهوت لك طعامًا، ستأكل من ورائه أصابعك"؛ فنظن أننا سنأكل طعامًا مختلفًا هذا اليوم، فإذا بالبطاطس أماننا مرة أخرى، إلا أنه كان يطهو البطاطس كل مرة بطريقة جديدة، يخدم نفسه بنفسه، لم أره قط يأمر أحدًا أن يفعل له شيئًا، يخدم الآخرين ويساعدهم ما استطاع.

كان ينتقد ما رسب لدى العامة من أخطاء بلا تردد ولا وجل، لا سيما ما يبالغ فيه من حكايات يحب الناس قراءتها وسردها، تجده يفنّدها على الدوام، ويقول: إنها أكاذيب؛ كنا نستغرب مواقفه حينئذ؛ وتمضي السنون وها نحن نوقن أنه كان على حقّ.

لا أعلم أحداً مثله يحافظ على هيئة العلم؛ كنا إذا حضرت جنازة يلتمس الناس منا أن نقرأ بشيء من المال، فكنا ننتظر هذا اليوم بفارغ الصبر؛ فمعظمنا من الفقراء المعوزين، لكن الأستاذ فتح الله لم يكن ليذهب رغم شدة عوزه، بل كان يحاول منع من يذهب، وأحياناً كان الجدل يحتدّ ويحتدم في هذه الأثناء حتى لكأنه شجار.

ملا بسه نظيفة جداً، ولا يسمح لأحد باستخدام أغراضه؛ فاهتمامه بأغراضه لا يخفى، فما كنا نهمله كان هو يعيره اهتماماً جمّاً؛ وكان إذا رأى شيئاً جديداً لا يألو في تعلّمه تفصيلاً، وله ميزان حسّاس في التعرف على الناس.

كان هو موجّه المدرسة حسّاً ومعنى، ولا أحد يتطلع إلى أن يقارن نفسه به في هذا، فنحن جميعاً أذعننا بهذا ولم يفرضه علينا، كانت مهيباً تستحوذ هيئته على من حوله وتفرض عليهم احترامه، لا طاقة له بتحمل الظلم ألبتة، فله موقفه ممن يظلم أياً كان الظالم، وكان يحثنا أيضاً على فعل هذا".

تلك الشمائل جاء ذكرها في يوميات الأستاذ حاتم صديق الأستاذ فتح الله، وزاد عليها تواضع الأستاذ فتح الله وعنايته البالغة بالنظافة، يقول: "كنا نحضر الجنائز لنقرأ القرآن بشيء من المال، أما فتح الله فكان يأبى، طلبنا العلم أوّلاً عند سعدي أفندي حفيد الشيخ ألّوألّي أفه محمد

لطفني أفندي، فلما التحق بالجيش تحوّلنا إلى الأستاذ عثمان بكّناش؛ فعرّفني والذي على الأستاذ فتح الله منذ أن التحقت بالمدرسة، قال لي: "هذا فتح الله بن رامز أفندي، سيكون عوناً لك"، قال هذا وذهب وكأنه يستودعه إياي؛ فكنت أذهب معه إلى الدروس حتى بعد أن انتقلنا إلى الأستاذ عثمان؛ ولا أتذكر أنني أدبت صلاة بدونه قطّ، كنت ظلّه الذي لا يفارقه أينما ذهب، كان الأستاذ فتح الله عاكفاً في المدرسة يومئذ، لكنّه لم يكن في عزلة عن العالم الخارجيّ.

كانت النظافة من أبرز شمائل الأستاذ فتح الله أثناء دراسته، فملاّبسه نظيفة دائماً، وله فضل عناية بنظافة مسكنه، بينما كاد مفهوم النظافة يكون معدوماً في المدارس يومئذٍ، رأيتُه مراراً يشمر عن ساقيه، وينظف المراحيض، وكان ينظف داخل المدرسة وخارجها جيّداً، له حسّ مرهف، فهو يشمّر من أدنى شيء، إلا أن هذا لم يحلّ دون تنظيفه لمراحيض المدرسة.

لم أفارقه أيام الدراسة حتى رحل إلى "أدزّنه"، وكان يترك المدرسة أحياناً ويذهب، فكنت أتوسل إليه كثيراً ليعود، وأحياناً كنت آتي بسريره دون علمه، فإن لم أقوَ على شيء من هذا حملت سريري ولحقتُ به أينما ذهب؛ كان يعظ هنا وهناك، فأنتظره حتى ينتهي لنعود معاً إلى المدرسة، قضينا أياماً كلّها ذكريات جميلة، بل لعلّها أجمل أيام حياتي".

قضى الأستاذ فتح الله فترة في مدرسة مسجد "قُرْشُنلو" ثم غادرها إلى مدرسة مسجد "كَمْخان" إثر خلاف مع سعدي أفندي، فما انقطع عن طلب العلم رغم كلّ المشاقّ.

في هذه الفترة وقعت واقعة أظهرت مدى الاحترام والأدب ورفاهة الحس لدى ابن الخامسة أو السادسة عشرة: "كانت المدرسة التي أوى

إليها مثل مدرسة "قُرْشُنلو" لا تتسع إلا لخمسة طلاب أو ستّة، فإن طرقهم ضيف لم يتسع المكان للنوم؛ يحكي الأستاذ فتح الله ما حدث معه وهو يحاول أن ينام في مكان ضيق، يقول: "جئت لأنام فإذا بقدمي بمحاذاة رأس أحد زملائي، فكرهت ذلك؛ إذ إنه لا يليق زميلي، أمّا الجهة الأخرى ففيها الكتب، ويستحيل أن أمدّ قدمي تُجاه الكتب، والجهة الثالثة هي جهة القبلة، فليس أمامي سوى الجهة التي إليها قرية فُورُوجُق لأمدّ بها رجلي، فخشيت أن أمدّها ويكون أبي هناك، فأسيء بذلك أدب معاملة الوالد؛ فقضيتُ عدة ليالٍ مستيقظاً لا أنام؛ وأشير هنا إلى أنني لم أمدّ قدمي في حياتي تجاه قرية فُورُوجُق مسقط رأس والدي ومثواه، وهذا من معاني احترام الأبوين عندي".

استمرَّ الأستاذ فتح الله ستة أشهر في تلك المدرسة، واضطر لمغادرتها عندما ضم مؤذن المسجد نصيب المدرسة لبيته، ثم التحق بمدرسة "طاش مسجد"، وسرعان ما غادرها لضيق بعض من فيها به.

واجه الأستاذ في رحلته العلميّة عقبات كثيرة بسبب السكّن، فعانى أيّما معاناة؛ إذ من المستحيل على شاب عزبٍ إذ ذاك أن يستأجر منزلاً في أرضروم، ثم عثر على كوخ صغير لحدّاء التحق بالجيش، فأبرم معه عقداً، لكنّ الحدّاء نقضه، ويصف الأستاذ فتح الله الموقف فيقول: "وقفت على قارعة الطريق، حقيقتي بيدي، ولا مأوى لي".

وكان الفرج في كوخ صغير آيل للسقوط في مسجد الأحمديّة بجوار مسجد مُراد باشا، كان المسجد قد أهمل، فلا أحد يرتاده، وغدا محرابه الذي فيه من التجاويف الكثير مأوى صغيراً بعد أن قُسم منذ حين، فبنى الأستاذ فتح الله وزميله "ذو النور" جداراً، ورفعاه قليلاً،

وأحضرا مدفأة صغيرة، وحُلَّت مشكلة المأوى؛ وما زال الأستاذ فتح الله يقيم ههنا أثناء الدراسة حتى لحق بأدرنه، ورغم تحذير كثيرين لهما من أن جدارهما عُرضة للسقوط في أي لحظة؛ لم يصغيا إلى أحد؛ وأنهى الأستاذ فتح الله دراسته، والكوخ قائم، وظلَّ يؤوي كثيرًا من الطلبة أمدًا بعيدًا بعدهما.



مدرسة مراد باشا التي درس فيها الأستاذ فتح الله كولن

ترك الأستاذ فتح الله سعدي أفندي وذهب إلى الأستاذ عثمان بكتاش، فدرس عليه قرابة عامين وهو من هو في النحو والصرف، والفقه وأصوله، وغيرها من علوم الشريعة، فمفتي المدينة كان يستدعيه إلى مكتبه ليستشيره كلما عرضت له نازلة. ولما رأى في تلميذه الجدّ والاجتهاد نقله إلى مستوى أعلى، وقال: لا ينبغي أن نشغلك بهذه الدروس الابتدائية، عليك بكتاب الملا جامي<sup>١٢</sup>، وراح يدرس في هذا المستوى مع من لهم قَدَم سبق في العلم والتزكية أمثال الأستاذ محمد قرَفنجي.

١٢ كتاب "الفوائد الضيائية" في الصرف والنحو، لنور الدين عبد الرحمن بن أحمد الأديب الفيلسوف المشهور بـ "الملا جامي" (١٤١٤هـ-١٤٩٢م).

كانت علاقته بمدرسته وطيدة غير أنه لم يُغفل الزوايا بتاتاً، فتربيتها ظاهرة عليه في مراحل حياته كلها منذ أن بدأ مع الشيخ ألّوآلي أفه، ولما توفّي لحق بزواية الشيخ القادري راسم بابا، فعني به الشيخ كثيراً، فراجت إشاعة بأنه سيزوجه ابنته، فترك الزاوية ولم يعاود؛ لكنه استقام على آدابها وتربيتها، فالتصوف عنصر رئيس في حياته وفكره، يقول: "اختمرت روحي في الزوايا منذ الصغر، وما زال أثر المدرسة والزوايا في حياتي سواءً ككفّتي ميزان".

وكان يستثمر وقته بعد الدراسة جيّداً، فسيح حياته في منتهى الإحكام، كان يمارس الرياضة؛ فهو نشيط مرّن؛ واعتاد زيارة مقابر الصالحين بأضروم في جهمة الليل دائماً، يقرأ القرآن على الموتى هناك؛ كان فتى مقداماً لا يهاب شيئاً، يعود من المقابر في غيبه العسق فيمر بأماكن يخاف الناس منها.

وله فضل عناية بملابسه في شبابه، بل هذا دأبه في حياته كلها، فكان لباسه نظيفاً أنيقاً رغم الصعوبات، يقول: "كثيرة هي الأيام التي لم أجد فيها طعاماً، لكنني لم ألبس بنظاًلاً دون كيّ قطّ، ولا حذاءً دون تلميع، وإذا لم أجد مكواة وضعت بنظالي تحت الفراش، فإذا به كالمكوي من الثقل؛ وربما يعجب أصدقائي من هذا، ولا يستطيعون أن يوقفوا بين ملازمتي للزواية وبين زيادة الاهتمام بملبسي وتطوافي بنشاط وانفتاح، حتى إن أحد أصدقائي غضب لأنني لا ألبس البنطال إلا مكويّاً، وقال لي كلمة لا أنساها أبداً: "اتق الله يا أخي"، ولم أفهم إلى اليوم ما علاقة التقوى بكّي البنطال".

قد حفظ الله للشابّ في فتوته عقْد الروح الذي نشأ وشبّ فيه، فما خلعه ولا خرج عنه؛ كان في تلك الفترة قد حضر حفل زفاف مرّتين:

فبينما كان يشاهد في الأولى الشمالى جاءه أحدهم فلطمه وطرده قائلاً: "ماذا تفعل هنا؟!"; وفي الثانية لما رجع طرق الباب فلم يسمعه والده مع أنه خفيف النوم، فبات مرغماً على الانتظار في الثلج حتى الصباح؛ فكانت له في هاتين الواقعتين عبرة، فغدا في شبابه حذرًا أيما حذر إزاء ما يفتح أمامه بابًا إلى المعاصي.

عرف الفتى فتح الله "رسائل النور"<sup>١٣</sup> وهو طالب بأرضروم، كان الأستاذ محمد قزقنجي قد دعاه إلى دروس رسائل النور، يوم أن زار "مظفر أزلان" أرضروم في طريقه إلى سيواس وأرزنجان، وكان الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي كلّفه بهذه المهمة: "طوّف في الشرق؛ أُحْدِ الفتى بما سمعه في أول درس وبمن حضر أيضًا لا سيما أنّه رأى فيهم حياة الصحابة خاصة الصّدق والزهد، فتأثّر كثيرًا بهذا، ولازم الدّرس رغم اعتراض أستاذه سعدي أفندي وعثمان بكتاش، يقول: "كان زهد طلاب رسائل النور يفيض عليّ بمشاعر متنوّعة، علاوة على تعمقهم في العبادات، فصلاتهم ودعاؤهم غير ما عهدتُهُ من غيرهم"، وبلغت سعادته أوجها عندما أقرّاه الأستاذ النورسي السلام في إحدى رسائله إلى أرضروم.

كان لرسائل النور وقراءتها بالغ الأثر في حياته، ففي ليلة مباركة بمسجد لآله باشا صلّى العشاء، وحضر دعاء ختم القرآن ألف مرة ومرة<sup>١٤</sup>، ثم صعد إلى مقصورة المسجد يتضرع ويدعو الله أن يُلحِقَه بكتائب طلاب النور، يقول: "ما إن صليت حتى وجدتني قد امتلأت شوقًا ولوعة ولهفًا

١٣ كليات رسائل النور التي ألفها بديع الزمان سعيد النورسي تضم تسعة أجزاء سجل فيها الأستاذ النورسي كل ما استلهمه من نور القرآن الكريم من معاني الإيمان وأملها على محبيه في ظروف عسيرة بقصد إنقاذ إيمان الناس في هذا العصر العصبى بإحياء معاني القرآن ومقاصده في النفوس والعقول والأرواح.

١٤ عادة سنوية في أرضروم يحتم الناس فيها القرآن معًا ألف ختمة وختمة، ثم يدعون عقب تلك الختمات في مسجد جامع بالمدينة.

لا يوصف، تضرعت إلى الله بكل كياني: "اللهم لا ملجأ لي إلا إليك، فتقبلني فيمن تقبلت من هؤلاء الإخوة، واجعلني منهم، وحبب الخدمة إليّ، لأهب روحي لها، ولا تجعلني بينهم عابر سبيل". ابتهلت تلك الليلة حتى السحر، بكيت وجأرتُ وفاضت عيناى حتى الصباح؛ - ما وُفِّقْتُ الدعاء بمثل هذا الحال في عمري إلا مرة أو مرتين- وما دعوت الله -عز وجل- في ذلك اليوم بغير هذا، وما رغبت إليه بشيء سوى قبول الدعاء". وفي صبيحة تلك الليلة التقى بزميله في الدراسة الأستاذ حاتم عند باب المسجد، فقصّ عليه الأستاذ حاتم رؤيا رآها بالأمس، وكأنها بشرى بقبول الدعاء، قال: "رأيت الأستاذ الثورسي الليلة، وكان يرسل لك رسالة ومعها جرة مملوءة بالجوز".

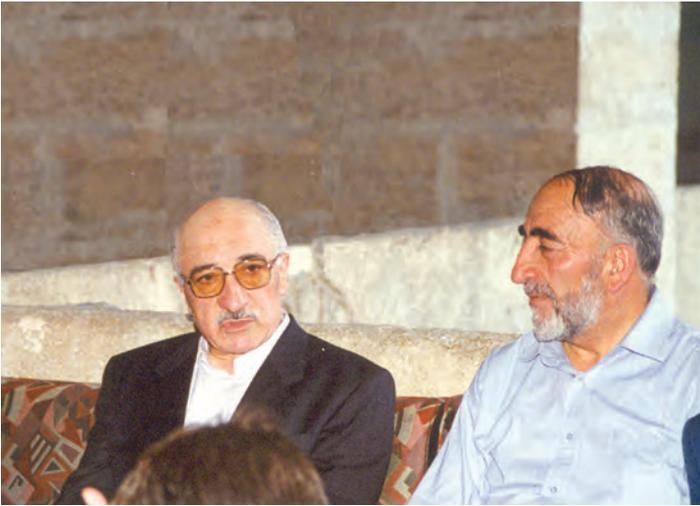
ورحل من أرضروم إلى مُدن أماشيا وطُوقات وسيواس عام ١٩٥٧م ينصح ويعظ؛ فكانت تلك فرصته للتعرف على أهل الأناضول عن كُتُب، ثم عاد إلى أرضروم مرةً أخرى.

## أدرنه البذرة في رحم الأرض

يحبّد والد الأستاذ فتح الله أن يعمل ابنه خارج أراضوم بينما كانت أمّه تضنّ به وتكره فراقه، فتقرّر أن يذهب إلى أدرنه حيث أقارب والدته، ومنهم حسين طوب، وهو إمام هناك؛ اتجه فتح الله إلى أنقرة أوّلاً، ومكث فيها بضعة أيام في منطقة "الحاج بيّرام ولي" المنورة وأحبّها حبّاً جمّاً، وزار النائب بمجلس الشعب السيد مصطفى زرن أحد أقارب والده، وبات عنده ليلة؛ وكان في تلك الأيام يتابع مسابقة وزارة الأوقاف للوظائف، ثم اتّجه نحو إسطنبول، ونزل في فندق "أراضوم" بسرّكجي الذي يسكنه أبناء مدينته وبات فيه بضعة ليال؛ ثم وصل أدرنه ذات ليلة، فنزل في فندق عند مسجد "الشرفات الثلاثة" الذي غدا إمامه بعد ذلك؛ وفي الصباح قابل الأستاذ حسين طوب، فذهب به إلى المفتي إبراهيم أفندي، لكنه رآه شابّاً فاستهان به، وقال: لا بد أن أمتحنه، ففعل ووظّفه وقال: "ما زال يافعاً، لكنه أجاد تكوين نفسه".

وفي رمضان تكلف دار الإفتاء بأدرنه طلاب المعاهد الشرعية وحفظة القرآن الكريم من المحافظات المجاورة بالإمامة، ويتعهد الأهالي بالمسكن والمطعم وشيء من المال، فإذا انقضى شهر رمضان عاد كلٌّ إلى مسجده، ويُعرّف هذا بنظام "إمامة رمضان"، فعين الأستاذ فتح الله إماماً في شهر رمضان في مسجد اسمه "آق مسجد (المسجد الأبيض)؛ فأعجب المصلّون بما رأوا في خطابته وعلمه أثناء دورس ما بعد الصلاة؛ فلما

انقضى شهر رمضان ذهب بعض وجهاء الحيّ إلى الأستاذ حسين طوب، وطلبوا منه أن يساعدهم في استمرار الأستاذ فتح الله بهذا المسجد، ففعل، ويومئذ بدأت رحلة الأشجان والمعاناة، ولم تمض مدة وجيزة حتى غدا معروفاً في أدرنه كلها بوعظه ودروسه، شابّ يافع لكنّه أثر بوقاره وأخلاقه أيّما تأثير على من جلس إليه واستمع له؛ نعم كان الأهالي يمدّون يد العون لأمثاله إلا أنه أبي أن يأخذ منهم شيئاً.



الأستاذ فتح الله والأستاذ حسين طوب في أدرنه يوم مسابقة المصارعة بقرقنار

وفي تلك الفترة عقد امتحان الوعاظ، فسافر الأستاذ فتح الله إلى أنقرة، ومكث بها خمسة عشر يوماً، ثم عاد إلى أدرنه، فأبلغ مصطفى زرنّ دار الإفتاء بأدرنه بنجاحه في الامتحان؛ فتقدم الأستاذ فتح الله بعريضة لوزارة الأوقاف بأنقرة، ليكون مفتي أدرنه، فرفضت لأنه لما يخدم العسكرية بعد، وعُين إماماً لمسجد "الشرفات الثلاث"، وسرعان ما صاغ لنفسه عقد حبّ واحترام هناك؛ ولما كان مسجد "الشرفات الثلاث" في مركز المدينة كان يأتيه وجهاء أدرنه وبعض المسؤولين أيضاً، ويعلن

الأستاذ فتح الله مقدّمًا عن موضوع موعظته؛ وكان في معرفته وإحاطته بتفاصيل الموضوع -في الاقتصاد أو العدالة أو الحقوق أو علم الاجتماع أو غيرها- ما أكسبه تقدير المصلين جميعًا.

استأجر منزلًا في زقاق مسدود، وذلك في فصل الصيف، فكانت النسوة يجلسن على أرصفة الزقاق من الضحى حتى جهمة الليل؛ فكان يضيق ذرعًا بذلك عند ذهابه إلى المنزل وإيابه منه، وأبدي بعض من يوقّره من أهل الحي رغبتهم في مصاهرته؛ فغادر الحي إلى نافذة في مسجد الشرفات الثلاث، عرضها متران، وعمقها متر ونصف، فوضع بها أمتعته: كتبه، وبطانيتين، وطبقين، وكوبًا، وملعقة؛ يقول: "تجافيت عن كل ما يبعث على الكسل، فبدأت باتخاذ ما يلزم لتحقيق هدفي على أتم وجه".

لم يترك الأستاذ فتح الله طراز حياته هذا حتى في قرّ أدرنه القارس، وزهد في أكل ما له دَسَم، فعكّف على العلم، ووعّني بمن حوله. كانت الحياة الروحية في أدرنه تكاد تقفر؛ فهجر النوم واعتزل في نافذته، وراح يبني "دنياه الصغيرة".

ويذكر صديقه الأستاذ حاتم مثالاً لتربية النفس عنده، يقول: "كثيرًا ما كنت أزور الأستاذ فتح الله في مرحلة رياضة النفس؛ فلم أره يأكل، وإذا برّح بي الجوع قال: هناك بعض الطعام، كُل منه، فأدعوه لنأكل معًا، فيأبى؛ وأحيانًا كنت أقلده فلا آكل؛ وغالبًا ما كنت آكل ما في المزود من طعام. وبينما هو في حديقة المسجد ذات يوم إذا برائحة البيض المقلبي تزكم الأنف، وسرعان ما تذكر أرضروم، والبيض الذي كانت تطبخه له والدته في التُّور، وبيننا نحن على ذلك إذا بالسيدة خَيْرِيَّة -عجوز صالحة ذات غيرة على الدين، كان الأستاذ فتح الله عندها كأحد أبنائها- قد طهت

بيضاً، وقدمته للأستاذ فتح الله، وكان بطني يقرقر، فانظرت أن يدعوني لنأكل، ومضى وقت طويل ولم يفعل، فلم أتحمّل فقلت: هيا نأكل هذا البيض قبل أن يبرد، فقال: كُلْ، واترك لي منه، فإني أحتاجه"، فما أكل رغم إصراري عليه، فأكلت منه؛ وأمضى الأستاذ فتح الله ثلاثة أيام يسخن فيها البيض ويشم رائحته ثم ينتحي جانباً من الحديقة، ثم يردّ البيض دون أن يأكل منه لقمة، ثم عرفْتُ أنه كان يروض نفسه بشمّ ما تشتهيهِ دون أن يأكله". هذا تأويل الأستاذ حاتم، فمن الممكن أنه ربما فعل هذا ليسلي نفسه بشيء يذكره بوالدته.

عُرض عليه الزواج كثيراً في أدرنه سواء من أقاربه كالأستاذ حسين طوب أو من أصدقائه، فأبى، وكم عُرض عليه في سنوات لاحقة، فكان يأبى، ولعل تفسير هذا في قوله: "لا يعلم نيتي وما في أعماق قلبي إلا الله، فضلت أن لا يشغل عقلي شيء سوى خدمة الدين والدعوة، ميزاني دقيق وحساس فربّما تضيق به النساء، وهذا أيضاً كان له أثر كبير في عزوفي عن الزواج؛ قررت منذ البداية أن أهب نفسي لخدمة الدين".

حياته في الشريعة كحياة السمك في الماء، ضبطها بميزان الشرع وآدابه؛ مثلاً: لما وصل أدرنه كان أول ما قام به التحقّق من طريقة ذبح الحيوانات، فلما رآها مخالفة لأحكام الشرع ما أكل فيها لحمًا قطّ.

مثال آخر يكشف دقة موازينه يومئذ، يحكي الأستاذ حسين طوب أنه رآه يشتري الشمع من ماله ليضيء به نافذة المسجد التي يسكنها، ليقرأ في الليل؛ فقرر أن يتخذ له مصباحاً يضيء النافذة، وأقلّ ما في هذا أن يرفع عنه المعاناة أثناء القراءة، فأتى بالكهربائي، لكن الأستاذ فتح الله رفض قائلاً: إنها كهرباء المسجد، والوقف هو من يدفع، وهو لا يحل لي".



نافذة مسجد الشرفات الثلاث التي أقام بها الأستاذ فتح الله

أنهكته ظروف الحياة الشاقّة،  
فضعُف ومريض، وقضى خمسة  
عشر يوماً في المستشفى؛ وتضاعفت  
بُرحاؤه لما بلغه مرض والده؛  
ففاضت مشاعره على لسانه بأشعار  
تحكي أشجاناً كابدها في تلك الفترة.

لقي الأستاذ فتح الله ما لقي من  
افتراء الحساد والحاquدين ومكائدهم  
التي حاكوها له، علاوة على تدهور  
صحته، فكانت حفاوة الناس بوعظه

وتقديرهم له، وحبّ التجار العجم واحترامهم البالغ، يثير حفيظة حسّاده؛  
فتأمروا عليه أيام الانتخابات المحلية، واتهموه بأنّه خالف الصمت  
الانتخابي؛ فاقتمحت الشرطة المسجد وألقت القبض عليه، وفي الطريق  
أخذ أحد أفراد الشرطة يشتمه بقبيح الكلام، فردّ على الشرطيّ وألقمه  
حجرًا، فهو لا يتحمل شيئاً من الإهانة، ولا يتهاون في عزته وكرامته؛  
وكان مدير الأمن "السيد رسول" يحضر مواعظه ويعرفه حقّ المعرفة،  
فبرّاه وأفرج عنه؛ يقول الأستاذ فتح الله: "هذا أول اعتقال لي، فامتعضت  
كثيرًا، وأويت إلى نافذتي حزينًا"، كانت تلك بداية مؤامرات ما زالت  
تظارده؛ وكلما حصحص الحق ظهرت براءته كما في المرة الأولى وعاود  
حياته الخاصة مرةً أخرى.

ودافع عنه ورعاه وردّ عنه افتراءات الحاقدين وإفكهم مفتي أدرنه  
بعد انقلاب ٢٧ مايو/آيار ١٩٦٠م الأستاذ "يشار طوناكور" الذي أسهمت

مواعظه في تجدد الحياة الدينية في أدرنه؛ لِمَا رأى في الأستاذ فتح الله من علمٍ وجدِّ، وراح يذكر مناقبه وعلمه في أروقة الحكومة؛ فالأستاذ يشار هو إحدى نقاط التحول الجوهرية في حياة الأستاذ فتح الله، وكان الأستاذ فتح الله يكرِّ له كلَّ احترامٍ وتقدير، فكان يعظ في مسجد الشرفات الثلاث قبل صلاة الجمعة - كما هي العادة في مساجد تركيا- ثم يدرك الصلاة في مسجد "السليمية" ليستمع لخطبة الأستاذ يشار.

إمام ذو عشرين ربيعاً إلا أنَّ وضوح أسلوبه في الحوار شهَّره في أدرنه، لم يقتصر كالأئمة على الوظيفة فحسب، بل كان يجول ويحاور الفئات كافةً بدءاً بالمحافظ حتى رئيس الوحدة العسكرية.

شخصية فعّالة نشطة تحمل صاحبها على فعل كلِّ ما يخدم الدين؛ شهد هجمات شتَّى الإعلام على الإسلام حينئذ، فكان يقدر ما بُدِّل لمواجهتها، ويساند من يواجهها ويدعمهم بما تيسر، يقول في مذكراته عن تلك الفترة: "كنت أدخر مالي وأشتري به كتباً مفيدة لأوزعها حسبةً، فكانت تأتي أدرنه نسخة أو نسختان من مجلة "بيوك دوغو" (الشرق العظيم)"، فكانت أشتري منها لتصبح خمساً وأوزعها؛ أما مجلة "حُر آدم" (الإنسان الحرّ) الأسبوعية، فكان يأتي منها خمسة وعشرون، فبلغتُ بها أربعين؛ وهي صوت الإسلام حينئذٍ، ومثلها "بيوك دوغو"، و"سبيل الرشاد"... أجالس من سأعطيه المجلة، ونشرب الشاي ثم أعطيه، فالخدمة في مناخ كهذا شاقّة جدّاً، فهذه أشياء لا عهد لأحدٍ بها، كنت أخفي مجلة "بيوك دوغو" بين صفحات جريدة "الجمهورية"<sup>١٥</sup>، وأضعها في جيبِي حتى أصل إلى مكان تسليمها، فأسلمها خُفية بعيداً عن الأنظار، كان لا بُدَّ من هذا ليستمّر العمل.

في تلك الفترة كان نجيب فاضل<sup>١٦</sup> ينسج "نسيج الإيديولوجيا"<sup>١٧</sup>، وكانت كتابات "بيامي صفا"<sup>١٨</sup> يلفها الغموض بالنسبة لقراء تلك الفترة، ورغم ذلك كنت أقرؤها؛ كان الإسلام هو شغلي الشاغل والعالم المثالي الذي تزدان به أحلامي، فظاهري يوحى أني في عزلة، ولكن الزوايا جعلتني منفتحاً أجد فنّ العلاقات الاجتماعية حيثما حللت؛ ولمجالستي الكبار الفضل في مهارة التحدث مع الآخرين بسكينة وطمأنينة، فكنت أجالس وأحادث وأحاور الفئات كلّها، خاصّة المشايخ وكبار العلماء، فنمت لدي مهارة المحادثة، فكنت أبلّغ وأنصح أيّ شخص مهما كان مستواه الاجتماعيّ بسهولة ويسر؛ وفي نفس الوقت حالّ الحياء الشرقي بيني وبين الجرأة على الكبار، فكنت أجالسهم وأحاورهم وقتاً طويلاً بمنتهى الأدب، وأكاد أكون عرفت وجهاء أدرنه كلهم، ولما أبلّغ العشرين؛ وكنت أحاول أن أوجّه ما منحني الله من قوة روحية في الطرق الإيجابية، فكنت أجالس الناس في المقهى، فنشرب الشاي، وأحاول أن أتحدّث إليهم عن مسائل دينية".

ويروي حافظ أحمد أفندي واقعة تكشف عن تأثير أحواله وتصرفاته في الناس فضلاً عن مواعظه، يقول: حاضِرَ رجلٌ كريم في مجلس بين أناس فيهم الأستاذ فتح الله، فأنصت إليه ولم ينسب ببنت شفة، فلما انتهى الرجل قال له: أنا من تحدث اليوم، لكنك كنت أنت الواعظ الحقيقي. ورغم العقبات التي واجهته إلا أنّه استقام على نمط الحياة الذي

١٦ نجيب فاضل قيصة كورك: من أشهر المفكرين والشعراء والكتاب الأتراك في القرن العشرين (١٩٠٤-١٩٨٣م)، لُقّب بـ"سلطان الشعراء" لطول باعه في الشعر.

١٧ نسيج الإيديولوجيا: كتابٌ لنجيب فاضل، عرض فيه حياته الفكرية والحركية.

١٨ بيامي صفا: مفكر وروائي وقصصيّ تركي، (١٨٩٩-١٩٦١م).

رسمه لنفسه، وذات مرة نفذت نقوده؛ فلم يقدر أن يشتري ولو خبزاً، وبات طاوياً أياماً، وبينما هو يتوضأ وجد خمس ليرات على الأرض، فاشترى طعاماً يسد الرمق، وكفّته حتى استلم راتبه، فزادها خمس ليرات، وتصدّق بالعشر على الفقراء؛ وذات مرّة صعد المنبر ليخطب العيد والجوع يعتصر أمعاءه، فأكل ملعقة عسل من قعر قنينة كانت عنده؛ ولم يكن يعرف أن العسل لا يؤكل والمعدة فارغة، فعانى من غثيان أثناء الوعظ. رغم كل ما عاناه لم يشك أمره ولو مرّة، ولم يدعه ذلك لتغيير نمط حياته رغم كل المشاق الماديّة والمعنويّة؛ وكان هذا السلوك لا ينتهجه إلا أفذاذ يصنعون تاريخ الحضارة.

كان الأستاذ فتح الله غيوراً على دينه منذ شبابه؛ فعندما طُرح موضوع كتابة القرآن الكريم بالحروف اللاتينية وهو في السادسة أو السابعة عشرة، كتب مقالاً ينتقد فيه هذه الفكرة؛ فروحه مثاليّة جيّاشة حتى إنه ليقول وهو تلميذ صغير بمدرسة مسجد قُزْشُونَلُو: "ليتهم وضعوا الدنيا على أناملي فأديرها"، كان يجتنب أمور السياسة، ولكن هذا لم يمنعه أن يعترض وتثور ثائرته عقب انقلاب ٢٧ مايو/أيار ١٩٦٠م؛ وللأستاذ يشار الفضل في تهدّته تجاه ما يستنفر طبيعته الثائرة، فلنصائحه أثر بالغ في التخفيف عنه فيما تضيق به نفسه، وكان لرسائل النور أكبر الأثر على تهدّته نفسه الثائرة.

كان لوظيفة "الإمام الملقّن" لمحكومٍ عليهما بالإعدام في أدرنه أثرٌ بليغ في حياته؛ كُلف عام ١٩٥٩م بتلقين رجل اسمه راسم، وكان الإعدام يومئذ علنيّاً؛ فكان يحاول أن يلقّنه الشهادة وبعض الدعوات، فيرد المجرم: "سيأتي أتاتورك، وسنذهب معاً إلى البيت"؛ فالمشهد حزين،

لكنّ الناس كانوا ينظرون إليه وكأنه مهرجان أو احتفال، وهذا أيضا جعل الأستاذ فتح الله يتقطع حزناً.

والغي الإعدام علناً، فأعدم الثاني - واسمه محمد - بعيداً عن الناس، وكم تأثر الأستاذ فتح الله بالحادثة، يقول: "سألته: تتوضأ؟ فأجاب: نعم، فلما بلغ غسل رجله خارت قواه؛ أتذكر هذا وكأنه اليوم، لم يُتّمّ الوضوء، فبدأت ألقنه الشهادة، فلا يستطيع أن يكمل، وكأنما محيت من ذاكرته".

## فترة الخدمة العسكرية التضيق الخارجي والتعمق الداخلي

استُدعي الأستاذ فتح الله للجيش في شهر نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٦١م، وقد أمضى في أدرنه قرابة ثلاث سنوات؛ فودّعه جمع جمٌّ يبلغ الأربعين من محبيه عند انطلاقه من "قرق أغاج" إلى المنطقة العسكرية؛ وعلى رأسهم الأستاذ يشار، وحسين طوب، وسالم آريجي الإمام الرئيس لمسجد الشرفات الثلاث؛ اتجه إلى إسطنبول ثم أنقرة، ومكث فيها ٥-٦ أيام عند السيد صالح أوزجان، وخدم في أنقرة في كتيبة خدم بها عمه من قبل، في السرية الأولى للاتصالات بالكتيبة الأولى بمنطقة "مماق"، لفت الأنظار بجده وانتظامه، فتوطدت صلته بقيادة السرية، علاوة على أنّ بعض معارفه في أدرنه ذو صلة بقيادته؛ تدرّب أربعة أشهر بقطاع اللاسلكي وعمل فيه؛ ورغم أنه يؤدي الخدمة العسكرية كغيره، لكنه كان يرى أنه لا يؤدي مهمته حق الأداء، فرأى أن طعام الجيش لا يحلّ له، وكذا ملابسه المجانية، فاشترى ملابس عسكريّة من أحد الجنود الطلبة.

اضطربت البنية السياسية عقب انقلاب ٢٧ مايو/أيار ١٩٦٠م، فخطط العقيد طلعت أيّدمير لانقلاب على انقلاب ٢٧ مايو/أيار، فأشرك ١٥ ألف جندي من منطقة مماق، فوجد الأستاذ فتح الله نفسه بينهم يكابد آلام تلك الفترة العصيبة؛ ولما فشل العقيد سلّم جنوده أنفسهم، وصودر سلاحهم، وصدر أمر بمنعهم من مغادرة الكتيبة مدة شهرين، فاستغلها الأستاذ فتح

الله في تركية النفس، يقول: "لك أن تطلق على هذه الفترة "الأربعين"<sup>١٩</sup>، فهي أول "أربعين" أرغمت عليها في الجيش... وقفت فيها نفسي على العبادة، كنت أجدو إلى المسجد مبكراً في ليالي الشتاء الطويلة، فأتعبد إلى جهمة الليل، فصفا عقلي وزكت نفسي شيئاً ما". لقد قطع مسافات روحية مهمة في نهاية هذه التركية؛ وشهد من التجليات الجليلة ما شهد مما لم يُبْحُ به؛ ثم عاد الجنود لمهمتهم، وعُين هو في قسم "الاتصالات السريعة" وتعلم هناك استخدام الأجهزة اللاسلكية، والكتابة على الآلة الكاتبة بعشر أصابع.

يحكي الأستاذ فتح الله عن مشاق في الجيش لا تُنسى، وخاصة أول أربعة أشهر بحي مفاق، يقول: "عندما أتذكر الجيش أتذكر فوراً أول أربعة أشهر، فلا يمكن نسيانها؛ لم تكن السرر كافية، ففي اليوم الأول نمت أنا وواحد كنت أعرفه من قبل في سرير واحد، أُعطي كل منّا بطانية يتدثر بها، كنا ننام دون أن نخلع أحذيتنا لنسلم من التجمد في قَرِ الشتاء القارس؛ فإن اقتضى الأمر الماء وجدت مشقة عظيمة، لكن بدني كان قوياً آنذاك، فكم وكم اغتسلت في أرضروم في المرحاض، أصب بالكوب المياه الباردة على رأسي وأنا واقف على الثلج؛ كان الجنود يغتسلون معاً بلا مبالاة، فكنت أرفض أن أدخل معهم. وذات مرة أمر الجنود بالتعري في فحص طبي عام، فقال الطبيب: اخلع سروالك، فقلت: "سيدي، ما رأي ما بين الركبة والسرة أحد، ولا أمي ولدتي"، فقال: إمض، فنجوت، وكان الطبيب طبيّاً".

١٩ مصطلح صوفي معناه: أن يتفرغ الإنسان أربعين يوماً للعبادة والذكر والدعاء مع التزامه بقلة الأكل والنوم والكلام.

مضت فترة التدريب وكانت نحو ثمانية أشهر، وأُقرع بين الجنود لتوزيعهم على نُكَيْهِم، فخرجت نصيبه مرتين في أرضروم، فأعادوها ثلاثة لئلا يكون الجندي في بلده، فكانت في مدينة "دياربكر" في جنوب شرقي الأناضول، فأبى القادة أيضًا، فجاءت في إسكندرون، وبدأت مرحلة مهمة في حياته.

كان القادة هناك ألين من أنقرة، فاستراح بعض الشيء؛ عُيِّن في مركز الاتصالات، فكان يجلس وحده في سيارة مجهزة بأحدث التقنيات يومئذ؛ فأتاح له ذلك أن يخرج ليشتري الطعام، وأن يستمع من خلال أجهزة الاستقبال المتطورة إلى إذاعة القرآن الكريم التي تبث من دول عربية، وأن يعظ قبل صلاة الجمعة بملابس مدنيّة.

ها هو يعيش حرًا نوعًا ما لكنه ماضٍ في تركية النفس التي أخذ نفسه بها في حياته كلّها، وها هو ذا يواصل حياته بدقّة ميزانه الحساس في أدرنه، فهزل جسمه وضعف؛ فقلّما ينام أو يأكل، فتبين بالفحص مرارًا أن حالته خطيرة، فوُضِع في المستشفى فترة، ثم مُنح إجازة للاستجمام لمدة ثلاثة أشهر؛ فاستطاع أن يزور أرضروم ليرى أسرته بعد غياب أربع سنوات، بل لم يُتَح لهم توديعه يوم أن التحق بالجيش، حتى إنّ أمّه عندما رآته سألته: أنت فتح الله؟ وراحت تعانقه؛ فما كانت أمّه لتعرفه إذ تعيّرت ملامحه في فترة مرضه، وكان فتّى فغدا رجلاً؛ ثم أذن له فرع أرضروم بشهر آخر، ف قضى أربعة أشهر فيها، منها شهر رمضان المبارك، فوعظ في مساجد عدة بأرضروم، وذات يوم علِم أن فيلمًا يتحدث عن عهد النبي ﷺ سيُعرض في سينما بأرضروم، فأغضبه أنّ امرأة لا وجود للدين في حياتها تمثّل دور السيدة عائشة رضي الله عنها؛ فتحدث عن هذا في

الموعظة، فثار المصلون وهاجموا السينما، فحاول أن يثنيهم عن هذا قائلاً: "لا تفعلوا، فليس لنا أن نفعل مثل هذه الأفاعيل، علينا أن نعالج الأمر بطرق أخرى مناسبة"، وباعت محاولته بالفشل؛ فانضم إليهم آخرون فصاروا جمعاً كبيراً ومنعوا عرض الفيلم، وتفرقوا قبل أن يحدث ما لا يُحمد عقباه.

وعقدت في هذه الفترة ندوة عن مولانا "جلال الدين الرومي"، وحاضر فيها أساتذة الجامعة، فشارك الأستاذ فتح الله فيها، وألقى كلمة عن حبّ مولانا للنبي ﷺ، فأبهرهم أسلوبه وبراعته في الارتجال وإلقاء الشعر الفارسيّ وشرحه، ودخض زعم من زعم من المحاضرين بأن "مولانا" يتبنى مذهب "بانتيزم".

وشارك أيضاً في فعاليات إنشاء جمعية لمقاومة الشيوعية في أرضروم، والأولى من نوعها كانت في إزمير.

انتهت الشهور الأربعة فعاد إلى إسكندرون، فوعظ بحماس بالغ، في عدّة مساجد، يرتدي جُبته فوق ملابسه العسكرية ويُلقي الموعظة، يشخص داء الحياة الاجتماعية بأسلوب مثير ومؤثر.

وذات مرّة رغب إليه بعض من في الجيش أن يمدح القائد في موعظته، فمدحه بأنه "رجل قومي"، فلما عاد إلى وحدته العسكرية زلت قدمه وهو يركب، فتكسرت أضلاعه، وعدّه تنبيهاً معنوياً له حيث ذكر في كرسي الوعظ ما هو متعلق بالأمر الدينيّ لئلا يسترضي فلاناً من الناس.

ثم عاود الوعظ بعد فترة قضاها في الفراش وأثارت هذه الفعاليات قلق أناس، فتحايلوا للضغط عليه، وأخرجوا أصدقاءه المساندين له في مواقف عدّة، وذات مرة خطب الجمعة - ولم يكن يتكلم عن شيء في

السياسة- فلما خرج من المسجد وجد الشرطة عند خروجه يحاصرون المسجد، وكانهم يعتقلون قاطع طريق؛ فذهب إلى قائد الكتيبة وحيّاه بالتحية العسكرية وسلّم نفسه؛ فأفشل خطة من يريدون تكرار أحداث "مَنْمَنْ" ٢٠ خيِّب آمالهم الخبيثة؛ وقبيل خروجه من المسجد سمع جندياً يقول: اضربوا هذا الوغد؛ فغضب المصلون؛ لكنه سلّم نفسه، فلم يفعلوا أيّ شيء؛ ولا شك أنهم كانوا سيضربونه لو تردّد، فقد أعدوا خطأ تنمّ عن حَنَقِهِم ونواياهم الخبيثة.



جامع إسكَنْدُون

قُبِضَ عَلَيْهِ وَسُجِنَ، وكان رأي بعض الضبّاط فيه حميداً فما كفّوا عن الحديث عنه، وفيهم نقيب مشهور بشكره، حتى إنّه كان يستولي على

---

٢٠ واقعة "مَنْمَنْ": حدثت في مقاطعة مَنْمَنْ بإزمير في ٢٣ ديسمبر/كانون الأول ١٩٣٠م، وهي اسم لسلسلة من أحداث مُحطّط لها لإقحام المتدينين في المآزق، بدأت بمقتل ضابط احتياطي اسمه مصطفى فهمي قُبيلاي أثناء تأديته للخدمة العسكرية في مَنْمَنْ على يد مجموعة من مدمني المخدرات تحت اسم الشريعة؛ فُسجن كثيرون إثر هذه الأحداث، وأُعدم آخرون.

راتب الأستاذ فتح الله ليشتري الخمر، قال عنه أثناء المحاكمة: "فتح الله هو وحدَه المنضبط ويمتاز بأخلاقه العالية في الفرقة، قل أن نرى مثله؛ فكل قاداته في الجيش يشنون عليه في خلقه ووفائه وحبه لوطنه اللهم إلا من أعمى الحقد عيونهم، فتأثرت هيئة المحكمة بهذه الشهادات؛ فسجن فترة قصيرة مع عقوبة تأديبية يسيرة، ثم أطلق سراحه؛ واستغل سجنه في قراءة كتاب "صفحات" للشاعر التركي المشهور محمد عاكف أَرُصُوي، وحفظ معظمه، وخلال فترة سجنه القصيرة تحسّن سلوك بعض أصدقائه المسجونين معه؛ وقد أذاعت جريدة "الاستقلال الجديد" خبرَ سجنه وإطلاق سراحه بعنوان "فتح الله حفيد محمد الفاتح".

وكانت طبيعته النشطة تأبى أن تبقى دون عمل يستهدف مثاليته التي جعلت منه إنساناً فعّالاً نشيطاً على الدوام ولو في الجيش ذي النظام المحكم، فيوم أن وصل إسكندرون كان عدد المصلين في الوحدات لا يُذكَر، لكن سرعان ما ازداد عددهم بمهارته وصدقه في النصيحة والموعظة، وكانت في الكتيبة قاعة تُستخدم لعروض سينمائية، فصارت مسجداً تُصلّى فيه الجمعة؛ كلّ هذا والحاقدون ما زالوا يتحينون فرصةً لاعتقاله، وليُفسدوا عليه أمره، حتى إن والده لما زاره أُلقي القبض عليه لحضوره جلسة دينية.

وتُظهر مواعظه ومقالاته أنّه يقدر الخدمة العسكرية قدرها، وكلما جاءت مناسبة تحدّث عن تقدير الأتراك للخدمة العسكرية، فهي ليست أمراً صعباً ولا شاقاً عليه إلا أن أعداء المثاليات والقيم التي وقف لها حياته فرضوا ظروفاً تسببت له في مشكلات وأزمات مختلفة يومئذ، فهؤلاء هم من جعلوا الخدمة العسكريّة شاقاً ومرهقاً؛ ولما أنهى مدة خدمته ورحل

عن إسكندرون عرض عليه صاحب شركة شحن العملَ مديراً للشركة، فرفض ورجع إلى أرضروم.

ولأرضروم منزلة متميزة في حياته الروحية، لكنه آثر الرحيل عنها بعد عودته رغم حبّها لها وإصرارِ أسرته وخاصّة أمّه على البقاء معهم؛ فالهجرة من مسقط الرأس في سبيل مثاليّاته من أمّهات مبادئه في الحياة إيماناً منه بالهجرة المقدسة التي طالما حدّث الناس عنها؛ فقرر الرحيل عن أرضروم، حتى وإن لم يرجع إلى أدرنه فلسوف يذهب إلى مكان آخر يخدم فيه الإسلام.

## العودة إلى أدرنه وفترة "قِرْقَلَارُ أَلِي" الفضيلة تشقُّ الأرض

لأدرنه منزلة متميزة وأهميّة خاصّة في حياة الأستاذ فتح الله، لا سيما مسجد الشرفات الثلاث، ففيه نسج شرنقة حياته الروحية والدعوية؛ ويتحدّث عن سبب عودته لأدرنه ومشاعره تُجاه مسجد الشرفات الثلاث، فيقول: "مما حملني على العودة لأدرنه حبي الجَمِّ لمسجد الشرفات الثلاث الذي بناه "المعماري خير الدين"، لعليّ أعمل فيه مرّة أخرى، فهو أحب إليّ من مسجد السليمية، ولعلّ هذه الرابطة والولّه لأنني عملت فيه من قبل، وضمّني إليه وآواني ثلاث سنوات، أو لأموّرٍ لم أفهمها يومئذ، فمسجد الشرفات الثلاث مهد لطفرة رائعة في الهندسة المعمارية ولولاه لما كان مسجد السليمية أعظم مفاخر التاريخ التركي؛ ومصيره كمصير المهوم العملاق الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي الذي مهّد لفتح إسلاميٍّ عظيم في الأناضول؛ وبين هذا المسجد والسلطان العثماني مراد الثاني توحد وتكامل؛ فهذا هو ما حبّب إليّ مسجد الشرفات الثلاث بلا تشوف مني ولا إرادة".

ودّ لو أنه يعود إمامًا لمسجد الشرفات الثلاث، إلا أنّه عُيِّن معلّمًا في مركز لتعليم القرآن الكريم؛ ولم يتوقف عن الوعظ؛ فنشرت الصحف خبر تعيينه، وادّعت أنّ تعيينه هذا ليس مناسبًا؛ وكانت الصحف والمجلات قد تناولت محاكمته أثناء الخدمة العسكرية، فذاع أمره في تركيا كلّها، خاصّةً أنّ بعض التيارات راحت تتعقبه خطوةً خطوةً.

وبينما كان يعاني  
من الملاحقة والتضييق  
الأمني، كان يلقي مثل  
ذلك من مسؤولين في  
مركز تعليم القرآن فيه  
تخالف أفكارهم أفكاره  
واعترضوا على تعيينه؛



المنظر الخارجي لمسجد الشرفات الثلاث

وانقضت تلك الفترة العصيبة ببداية أخرى للأستاذ فتح الله: مرض  
إمام "مسجد دار الحديث" فعين هو إماماً مؤقتاً، واتخذ من ركن في  
المسجد مسكناً له، وسرعان ما صيره مدرسة لتعليم الطلبة، فغداً أول  
أرضٍ طيبة تنثر فيها بذور خدمة الطلبة؛ وبهذا الصدد يلفت الأستاذ حسين  
طوب في مذكراته الأنظار، فيقول: "كانت وزارة الأوقاف تقتطع بعض  
راتب الإمام السابق لغيابه عن وظيفته، وتعطيه للأستاذ فتح الله الذي قام  
مقامه، لكنه لم يكن يتصرف فيه، بل كان يردهً بتمامه كل شهر للإمام  
السابق، ولما سُئل قال: أستاذي شيخ مريض، فهو أحوج إليه مني".

في تلك الفترة عُين صديقه الأستاذ الدكتور "سعاد يلدرم" مفتياً  
لأدرنه، فاستأجراً منزلاً، كانت دقته وحسنه المرهف في حياته هو هو، ففي  
مذكرات الأستاذ سعاد يلدرم ما يكشف عن هذا التميز بوضوح، يقول:  
"كل أحواله تنبئك أنه شخص متميز، منظم، أنيق، يتحرى الحلال في  
مطعمه ومشربه، منزله غاية في النظافة والتنظيم، يهتم به اهتمامه بمنظره  
وملبسه؛ ولو قلت: لم أره في السروال فحسب طول ستة أشهر قضيناها  
معاً، لكفى في وصف شخصيته الرائعة وعاداته الحسنة".

واصل المواعظ ومدارسة الكتب رغم صرامة الرقابة حينئذ وتناوب الشرطة على المسجد. ورأى واحد ممن يحضر حلقة الدرس رؤيا ألهمت أشواقهم، رأى أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها تشير إلى الخمسة المتحلّقين في الدرس وتساءل المصطفى ﷺ: "يا رسول الله، هؤلاء يسألون: هل أنت عنهم راضٍ؟"، فقال ﷺ: "نعم، أنا راضٍ عنهم عامّة... وعن أحدهم خاصّة... وعن أحدهم خاصّة"؛ وفعلت هذه الرؤيا فيهم الأفاعيل؛ فاستمرت الدروس رغم كلِّ محاولات القمع والمنع، وسرعان ما ناف عددهم على ثلاثين.

جاء العيد فقام الأستاذ فتح الله بطبع بطاقة تهنئة، عليها حديث شريف يحض على تمسك المسلمين بدينهم مهما بلغت المشقة والبلاء الذي يتعرضون له<sup>٢١</sup>؛ فوقعت جلبّة كبيرة، واقتحمت الشرطة المسجد، فاعتقلوه، وسيق إلى التحقيق مرّة أخرى، وكانت أسئلتهم مأساة ومهزلة، مثلاً: ما كل هذا الإخلاص في المواعظ؟! وما السبب في تحمل كل المشاق في سبيل الدين؟ وما الذي يبكيك وأنت تعظ؟ بل سألوه: لماذا تأمر النساء وأنت تعظهنّ يوم الثلاثاء بقولك: "لا ترفعن إليّ أبصاركن؟!" كادوا له ليقوعوا به أثناء التحقيق، وشهد ضده محام كان يصلي معه التروايح ودعاه غير مرّة إلى الإفطار عنده، لكنه أنكر أنه يعرف الأستاذ فتح الله، فطلب الأستاذ فتح الله الدفاع عن نفسه، وقال: "سأعقب على السيد المحامي، ثم قيموا الموقف بناءً على ذلك؛ هذا الرجل صلى معي

٢١ عَنْ حَبِيبِ بْنِ الْأَرْتِّ قَالَ: شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَقُلْنَا أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو لَنَا فَقَالَ قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ يَنْفَرِينَ وَيَمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ حِمِّهِ وَعَظْمِهِ فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهُ لَيَتِمُّ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكْبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذُّنْبَ عَلَى عُنُقِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ. (رواه البخاري)

التروايح سنوات، والمئات يشهدون، ودعاني أنا والأستاذ سليم آريجي للإفطار أكثر من مرة، وجلسنا في أماكن لا أحصيها وشربنا الشاي معاً؛ فإذا كان صلى التروايح خلف رجل، وأكل وشرب معه على مائدة واحدة، ثم يأتي ليقول: "لا أعرفه"، فيمكنكم أن تقيسوا باقي كلامه على هذا؛ وكان لشهادة رفعت بك في الدروس والمواعظ وقع كبير، إذ كان من قبل ضالاً، ومثار إزعاج للناس جميعاً، قال: "السادة القضاة أنتم أعلم بما كنت عليه، أيام كنت أصيح في "قلعه إيتشي"، فيفزعون جميعاً، هكذا كنت، وأنا الآن كما ترون، تغير سلوكي بفضل هؤلاء، كنت أتردد عليهم، فوجدت ضالتي وعرفت الحق فاهتديت بعد الضلال".

كان محافظ أدرنه يومئذ يفعل ما يوسع له لعرقله حراك الأستاذ فتح الله؛ ألغى له رخصة الوعظ، ومنعه من التدريس في مراكز تحفيظ القرآن، وهم بحبسه عشر سنوات، ووضعه تحت المراقبة الدائمة، فتحولت أدرنه إلى "كابوس" كما يقول الأستاذ فتح الله، لقد ضيقوا عليه الخناق، فذهب إلى أنقرة في ٣١ تموز/يوليو ١٩٦٥م يلتمس النقل إلى محافظة أخرى، فنقل إلى محافظة "قزقلار آلي".

لقي ما لقي في أدرنه، ورغم ذلك كان يُعنى بالناس فينفق راتبه كله عليهم بل وقته أيضاً؛ ليقبهم فتنة التنصل من التدين باسم المدينة.

وهذا مؤذن مسجد السليمية خمسة وثلاثين عاماً السيد "نادي أرصوي" سكن مع الأستاذ فتح الله في أدرنه، فوصف شخصيته وحياته المتميزة في مذكراته قائلاً: "دقيق مرهف الحس، أظنني تعلمت النظام وكى الملابس منه. فملابسه نظيفة أنيقة، يعتني بمظهره بين الناس، ولا يلبس ما ليس بمكوي وما كان سيئ المنظر، عنده بنطال رمادي، يغسله

جيدًا كلَّ يومين لعله تقذّر وهو ماشٍ في الشارع أو أثناء قضاء الحاجة مع أنّه يشمّر عن ساقيه عند قضاء الحاجة؛ لا يملك مكوّاة، فيضع البنطال تحت فراشه ليغدو كأنّه مكويّ - وأنا أعجب لهذا الحال وأحزن - فإذا لبسه بدا أنّه كذلك فعلاً، ويظلّ كذلك، ولا أدري أكان ذلك من جودته أم من نوع قماشه؟ كنت أراه دائماً منظماً، أنيقاً، نظيفاً؛ وكأنّي تطبعت بمثل طبعه في حياته المنظمة ومظهره الحسن". فهذا يكشف عن أن دقته وحسّه المرهف في أيام دراسته ما زال على حالهما رغم ما هو فيه، ويظهر شمائل صارت له خلقاً من: نظافة، ونظام، ودقة، وأناقة.

ويقول السيد ناادي أرسوي: "منه تعلمت الأدب"، ويكشف في مذكراته عن أدب الأستاذ فتح الله وحسه المرهف واحترامه للصغار ولأترابه ناهيك عن الكبير، يقول: "سكّنا في منزل من غرفتين، إحداهما للدراسة والأخرى للنوم، فكنا ننام معاً، في الغرفة سرير معدني، تركته له وفرشت على الأرض؛ فلما تأخّر عن النوم قلت له: أستاذي أتدري كم الساعة الآن؟ حان وقت النوم، نم أنت على السرير وأنا أنام على الأرض، فأبى إلا النوم على الأرض؛ فلما تدثّر باللحاف، كنت جالساً على طرف السرير، فأرق وتقلب يميناً ويساراً، فنظرت فإذا وجهه أحمر وعروق جبهته تكاد تنفجر، ففهمت الأمر، فهو يستحيي أن ينام وأنا في الغرفة، فقلت: لحظة من فضلك أستاذي، تفضل، نم على السرير، وأخذت الفراش واللحاف إلى الغرفة الأخرى وتركته وحده، وقلت: إن شاء الله سينام ويستريح".

ولما نزل في قَرْقَلَارَ أَلِي استأجر منزلاً، واقترض ليفرشه بسجادتين، فهما كلّ ما يملك، وكان يدفع أجرته وأجرة منازل في أدرنه؛ فعلاوةً على

وظيفته كان يتردد على أدرنه عدة مرات كل أسبوع، ليتفقد طلابه فيها؛ ولم تكن تحقيقات أدرنه قد انتهت، فلم يرعو الحاقدون عن ملاحظته والتربص به، فاستهدفته الصحافة المحلية بمقالاتها، وحقق معه في خطبة جمعة ألقاها في قِرْقَلَارْ أَلِي، فلم يثبت ما يُدينه، وسرعان ما أخذ البراءة؛ ورغم كل ما كان لم تحبُ جَذوةِ فعالياته ونشاطه؛ يقول: "نظّمنا أنشطة عدّة، ففي منزلنا الصغير الذي يشبه عش البلبل كنا نتدارس كل ليلة، ويأتينا الناس من كل الجماعات، فكان بيننا تآلف وتناغم طيب؛" وعقب مؤتمر دعا إليه الشاعر التركي المشهور نجيب فاضل وجد فرصةً للتحدث إليه طويلاً، فأظهر نجيب فاضل اهتماماً بالغاً به، وكتب بعدئذ عدة مقالات يقرّظ فيها رسائل النور.

## مرحلة إزمير وأزهرت الضيعة

أخذ الأستاذ فتح الله إجازة لزيارة مدنٍ أخرى في الفترة التي كان فيها في قَرْقَلَارْ أَلِي، كانت الإجازة عشرين يوماً، إلا أنها استمرت أربعين، وفي طريق عودته مرَّ بأنقرة وطلب من الأستاذ يشار طوناكُور مساعد رئيس الشؤون الدينية إجازة عشرين يوماً أخرى، لكنه أوعز إلى الأستاذ فتح الله أن يستبدل به طلباً يبين فيه أنه يرغب بالتعيين في إزمير، فاعتذر الأستاذ فتح الله عن تقديم مثل هذا الطلب، إلا أنه ألحَّ عليه وأوعز إلى أحدهم أن يكتب الطلب، وحمله على التوقيع مستغلاً احترامه له.

ولما غادر الأستاذ يشار طوناكُور من إزمير إلى أنقرة قال وهو يودِّع محبِّيه في إزمير: "سأرسل لكم شخصاً وستسنونني"؛ فصدر قرار تعيين الأستاذ فتح الله في إزمير بتاريخ ١١ آذار/مارس ١٩٦٦م، وودَّعه جمعٌ غفير من محبِّيه في قَرْقَلَارْ أَلِي، وبدأ العمل مديراً في سكن طلاب ثانوية الأئمة والخطباء "كشتانه بزاري"، وكان السكن الطلابي يعاني من الفوضى؛ فاضطرَّ بادئ الأمر إلى مواصلة العمل ليل نهار في إدارة السكن فلم يكن ينام سوى ساعة أو ساعتين أملاً في عودة الانضباط إلى السكن؛ يحكي الأستاذ فتح الله عن أيامه الأولى التي قضاها في كستانه بزاري قائلاً: "بناءً على تقييمي المبدئي اقتنعت بأنَّه من الضروري ملازمة الطلاب بشكلٍ دائم، فاقتضى هذا منِّي أن أصل الليل بالنهار فلا أنام، فحالة الطلاب عموماً تقتضي ذلك؛ فهزُلَ بدني كثيراً إذ قلَّما أتناول الطعام، ورغم ذلك

كنت أكتفي بنوم الساعة أو الساعتين في اليوم، وأحياناً أصل ليلي بنهاري دون أن أنام، وبينما أشرف على الطلاب وهم نائمون كنت أتجول عدّة مرات في الحَمَامات والغرف، وإذ كنت أعتني بالطلاب عن كَتَب كنت أعمل على إصلاح كلِّ ما أراه مخللاً بالنظام".

وضاق بعضهم ذرعاً باهتمام الأستاذ فتح الله بالانضباط عامّة وبعنايته بالطلاب خاصّة؛ فلجئوا إلى حِيل عدّة، وحاولوا زعزعة مكانته عند الطلاب؛ فأصبح انضباط السكن أمراً صعباً إلى حدِّ ما في الأشهر الأولى، وأظهر بعضهم سلوكاً معادياً لدمائة الأستاذ فتح الله، فاجتمع رئيس الجمعية السيد "علي رضا كُون" بهؤلاء الأشخاص وحذّرهم بقوله: "هذا الأستاذ لا يأخذ من السكن شيئاً ولو لقمة، فلو بدر منكم سلوك يضايقه، طردتكم جميعاً".



جامع كُشْتَانَه بَزارِي الذي عمل فيه الأستاذ فتح الله كولن واعظاً، والسكن الطلابي الذي عمل فيه مديراً بين ١٩٦٦-١٩٧٠م.

وأخذ أمناء الوقف والطلاب كذلك يَقْدُرُونَ الأستاذ فتح الله قَدْرَهُ، يذكر خليل مَزِيك -وهو من أوائل تلامذة الأستاذ ورابع أربعة أرسلهم

عقب وصوله إزمير لمتابعة الخدمة التي بدأها في أدرنه من قبل - تودّد الطلاب للأستاذ ورأيهم فيه وكذلك موافقه معه بقوله: "قدمت إلى كستانه بزاري في عام ١٩٦٥م، وجاء الأستاذ فتح الله في صيف ١٩٦٦م، كان الطلاب جميعاً ينظرون إلى الأستاذ فتح الله نظرة ريب، كان شاباً يومئذ إلا أنّه كان يبدو وكأنّه شيخ كبير مهيب وقور رزين.

قال لي إبراهيم أفندي إمام جامع كستانه بزاري: "أشعر بشيء ما نحو هذا الأستاذ الجديد، ووصلني خطاب يوصي به"، يعني الخطاب الذي أرسله الأستاذ يشار طوناكور، ولما لاحظ الأستاذ إبراهيم جوهر الأستاذ فتح الله مما قرأه في الخطاب وما رآه من ورعه، بدأ يوصينا به ويقربنا إليه شيئاً فشيئاً، وكنا يومئذ صغاراً؛ فلم ندرك أهمية الأمر، ولم نُعْنَ به كثيراً، لكن ما إن بدأ الأستاذ فتح الله دروسه في التزكية حتى بدأنا نحبه ونقدّره قدره؛ كان الأستاذ فتح الله يتناول مواضيع عدّة، ويطبّئها بعقب من حياة الصحابة، فحياتهم محور أساس ومضرب المثل في أحاديثه؛ وكان - وهو يسرد الأحداث - يتأثر فيكي ويبيكي من حوله، وسرعان ما ألفه الطلاب وأمناء الوقف أيضاً، بل إن الأساتذة الآخرين الأكبر منه سنّاً ممن سبقوه إلى كستانه بزاري بدؤوا في تقديره، ثم ما لبث هنيئة حتى غدا شخصيّة مرموقة في إزمير.

في شهر رمضان كنت أصلي التراويح بختمة في كستانه بزاري، وكان الأستاذ فتح الله يعظ في مساجد شتى قبيل صلاة التراويح، فكنا نتناول وجبات خفيفة، فتكفيه لقيمات مما تيسر على الإفطار، كان يشتري الحبن واليوسفي، وكنا نُحضِر الخبز من سكن الطلاب، لنفطر معاً، كان الأستاذ فتح الله لا يتناول من طعام السّكن، حتى إنه كان يدفع ثمن الخبز، وثمان وجبات من يأتيه زائراً".

بعد زهاء ستة أشهر من شروع الأستاذ فتح الله في العمل بُني له كوخ في فناء السكن، مِتران في مترين، لا شيء فيه ولو ماءً، وأصبح هذا الكوخ أرضاً طيبة نثر فيها بذور أحلام تراءت له وهو يدرُس في مدرسة فُورْشُونلُو، وتمرّ السنون ويحكى الأستاذ عن هذا الكوخ وهو يذكره بشوق في وعظه وحواراته: "كنت أحبّ كوخِي كثيراً رغم أنّه كان صغيراً، فلو مددت قدميَّ للامستا جدرانه، ولم يكن به حَمَام، فكنت أغسل يديَّ من مياه البرميل خارج الكوخ، لكن هذه الغرفة الصغيرة كانت من الأماكن التي تُشبعني في خدمة الإسلام بشكل كبير، مكان متواضع بسيط، إلا أنّه كان منطلقاً لخدمات كثيرة ستكون فيما بعد، وكان كمورد الماء يَغصّ بالنّاس على الدّوام".

وعلاوةً على عناية الأستاذ فتح الله بالطلاب عن كُتب، فإنه كان يُلقي مواعظه في أماكن شتى بمنطقتي بحر إيجة والبحر الأبيض المتوسط وليس في إزمير فحسب، وسجّلت هذه الدروس ووزّعت على كثيرين رغم أنه لم يحدّد ذلك، يروي جاهد أردوغان -وقد بذل جهداً مشكوراً في تسجيل الدروس- ملاحظاته الأولى حول الأستاذ وفترة الوعظ قائلاً: "اضطّرت في عام ١٩٦٥م أن أترك حرفتي، وكان لديّ مصنع للملح، لكنني كنت أرى يومئذ أنّ تسجيل دروس العلماء المشهورين أمثال الأستاذ طاهر بيبوك كوركجو ويشار طوناكور لتوزيعها على المناطق المجاورة يُعدّ خدمة للإسلام، وكان وعظ الأستاذ يشار خاصة يؤثّر في أيّما تأثير؛ فبذلت ما في وسعي لنشر مواعظه في المناطق المجاورة؛ وذات يوم صدر قرار بتعيين الأستاذ يشار في أنقرة مساعداً لرئيس الشؤون الدينية، فرغب أكابر إزمير إلى الأستاذ يشار أن يسعى لإيقاف هذا التعيين الجديد، واجتمعوا

عنده ليتقدموا بطلبهم هذا، وكنت معهم يومئذ، فقال لنا: "لا تحزنوا على فراقى، فلسوف أرسل إليكم مَنْ تحبونه أكثر منى"، ولا ريب أنهم جميعاً كانوا يعدّون هذا منه مواساة لهم، وأن شيئاً من هذا لن يحدث.

رحل الأستاذ يشار، وبتنا ننتظر الأستاذ الجديد بشغف، ولم أكن لأصدق أنه سيكون كما قال الأستاذ يشار؛ فأنا أعرف كلّ مشايخ هذا العصر في بلادنا، وتدور عجلة الزمان ويأتي الأستاذ الجديد، فذهبت لأستمع إليه، ولا ريب أنه لا داعي لإحضار المسجّل، وكاد التدم يأكلني وأنا أسمع موعظته، وأردّد في نفسي: ليتني سجّلت، انتهى الدّرس وغدوتُ مبهوراً؛ لقد كان وعظاً مؤثراً ما سمعتُ مثله قطّ، فعزمت من فوري على أن لا أغادر صغيرةً ولا كبيرةً من مواعظه إلا سجّلتها، والحمد لله الذي هداني لهذا، فأصبحتُ تلکم الوظيفة شغلي الشاغل، ودأبت عليها -بفضل الله- إلى اليوم، وعسى أن يدوم فضل الله عليّ ما دمت حيّاً، فيا ربّ وفّقني ولا تقطع سيّبك عني<sup>٢٢</sup>.

كان الأستاذ أحمد فيزي -رحمه الله- لا يستكثر من الوعاظ، ولا يُعجبه أمرهم، وما استطعت أن أحمله على سماع أحدٍ منهم، فهو من أهل العلم أصلاً؛ وذات يوم قابلته وأنا في طريقي إلى الموعظة، وأظنّ أن ذلك كان في الأسبوع الثالث من وصول الأستاذ فتح الله إلى إزمير، فسألني: إلى أين؟ فقلت: إلى الموعظة، إنّه واعظ ليس له نظير؛ هلّمّ معي، فأبى، فأليت عليه -وكان يحبّني كثيراً- فلبّى دعوتي وحضرنا معاً؛ فلما انتهى الوعظ وصلينا الجمعة بدأ الناس بالخروج من المسجد، فشرعتُ

٢٢ توفي جاهد أردوغان في ١٠ يونيه/حزيران ١٩٩١م؛ إن الله تعالى استحباب دعاءه فظّل ينشرُ مواعظ الأستاذ فتح الله حتى الوفاة، رحمه الله رحمة واسعة.

أجمع أغراضني لنخرج، وكان بين الأستاذ فتح الله والأستاذ أحمد فيزي عدة صفوف، فلما نهض الأستاذ فتح الله هبَّ هو أيضًا وتوجَّه إليه مسرعًا وتصافحا، لا أدري ما دار بينهما، فإن كان هناك ما أعلمه فهو أن الأستاذ أحمد فيزي اغتبط أيما غبطة بحضوره الموعظة؛ فما إن انتهينا حتى سارني قائلاً: "أصبت، إنَّه واعظ ليس له نظير"، قلت له هذا من قبل، والآن شاطرنِي الرَّأي.

لم يكن الأستاذ فتح الله يرضى أن تُسجَّل مواعظه قط، لكننا لم نعبأ بذلك، ونجحنا في تسجيل الدروس، فالإمام الغزالي يقول: "أحياناً تكون الموافقة قبيحة لا ينبغي أن تقع بل الأدب المخالفة ما أمكن"<sup>٢٣</sup>، فسلكنا نحن أيضاً هذا المسلك<sup>٢٤</sup>.

كان للأستاذ فتح الله برنامج مكثف، فهو في عملٍ دؤوب ليل نهار؛ يحكي بكلماته هذه كيف كان يقضي يومه يقول: "كنت أعظ في أكثر من مكان -مكانين أو ثلاثة- في إزمير، وفي الوقت نفسه لا آلو في الحضور إلى الأماكن التي تطلب مني موعظة، كنت أعظ كلَّ جمعة في جامع كستانه بزاري، أما المواعظ الأخرى فأجعلها ما استطعت يومي

٢٣ إحياء علوم الدين: ٥٦/٢. وسياق المقولة (كان علي رضي الله عنه يضجر من كثرة تطليق الحسن، فكان يعتذر منه على المنبر ويقول في خطبته: إن حسناً مطلقاً؛ فلا تُنكحوه، حتى قام رجل من همدان فقال: والله يا أمير المؤمنين لننكحته ما شاء، فإن أحب أمسك، وإن شاء ترك، فسُرَّ ذلك علياً، وقال: لو كنتُ بواباً على باب حنة... لقلت لهمدان ادخلي بسلام

وهذا تنبيه على أن من طعن في حبيبه من أهل وولد بنوع حياء، فلا ينبغي أن يوافق عليه، فهذه الموافقة قبيحة بل الأدب المخالفة ما أمكن).

٢٤ يُحكى أن الأستاذ فتح الله عاتبه ذات يوم من أجل تسجيله المواعظ، لكن السيد جاهد رد عتاب الأستاذ بأسلوب يحاكي العتاب أيضاً قائلاً: "لا أسجّل المواعظ لأجلك أنت، ولكنني أسجلها ليستفيد الناس بها، هذه مهمتي التي تحمي، فلتهمك مهمتك!" فلم يستطع الأستاذ فتح الله أن يجيب، فاستمر هو في مهمته إلى آخر عمره رحمه الله.

السبت والأحد، فالحمد لله أَنِّي كُنْتُ أُطِيقُ ذَلِكَ؛ مَثَلًا كُنْتُ أَذْهَبُ يَوْمَ السَّبْتِ لِأَعْظُ فِي أَحَدِ الْأَمَاكِنِ، فَيَسْتَعْرِقُ طَرِيقِي اللَّيْلَ كُلَّهُ، وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ أَعْظُ فِي مَكَانٍ آخَرَ، وَأَقْضِي الْمَسَاءَ فِي الطَّرِيقِ بِلَا فَتْوَرٍ؛ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ هَذَا لِيَشْغَلْنِي عَنْ دُرُوسِ الطَّلَبَةِ فِي الصَّبَاحِ، فَكُنْتُ أُدْرِكُ دُرُوسَ الطَّلَابِ عَلَى وَقْتِهَا". فَلَوْ تَأَمَّلْنَا رِحَالَتهِ هَذِهِ فِي الْمَوَاصِلَاتِ الْعَامَّةِ فِي ذَلِكَ الْحِينِ، لِأَدْرِكُنَا شَيْئًا مِنَ الْمَعَانَاةِ الَّتِي كَانَ الْأَسْتَاذُ يَتَكَبَّدُهَا.

وَرِغْمَ أَنْ الْأَسْتَاذَ فَتَحَ اللَّهُ كَانَ يَهْدَفُ مِنْ مَوَاعِظِهِ وَمَحَاوِرَاتِهِ إِلَى الْوَصُولِ لِلطَّبَقَةِ الْعَرِيضَةِ مِنَ النَّاسِ؛ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَرْفُضُ بِنَاتًا أَنْ يَنْسَبَ إِلَى شَخْصِهِ مَا يَبْدِيهِ النَّاسُ مِنْ شَعْفٍ بِالْمَوْعِظَةِ، وَكَمْ كَانَ يَغْضَبُ عِنْدَمَا يَصْرِفُ النَّاسُ اهْتِمَامَهُمْ لِشَخْصِهِ بَدَلًا مِنَ الْحَقَائِقِ الَّتِي يَتَكَلَّمُ حَوْلَهَا، وَكَانَ يَتَجَمَّلُ بِالتَّوَاضُعِ -إِحْدَى خِصَالِهِ الْمُمَيِّزَةِ لِشَخْصِيَّتِهِ- وَتَوَاضَعَهُ يَظْهَرُ عِنْدَ اهْتِمَامِ النَّاسِ بِمَوَاعِظِهِ.

وَلِلسَّيِّدِ "مُحَرَّمِ قَلْبُونُجُو" ذَكَرَى يَحْسَنُ ذِكْرَهَا مَثَلًا عَلَى هَذَا، يَقُولُ:  
 "ذَاتَ يَوْمٍ ذَهَبَ الْأَسْتَاذُ فَتَحَ اللَّهُ لِيَعْظُ النَّاسَ فِي مِقَاتِعَةِ "بَرْصَا" فَذَهَبْتُ مَعَهُ بِالْحَافِلَةِ، فَلَمَّا وَصَلْنَا وَجَدْنَا النَّاسَ يَنْتَظِرُونَ، فَالْمَوْعِظَةُ بَعْدَ الْعَصْرِ أَوْ الْمَغْرَبِ، وَبَيْنَمَا كُنَّا نَنْزِلُ مِنَ الْحَافِلَةِ إِذْ سَمِعْنَا نِدَاءً مِنْ مَكْبَرَاتِ الصَّوْتِ بِالْبَلَدِيَّةِ: "انْتَبِهُوا جَيِّدًا فَالْيَوْمَ سَيَعْظُنَا الْوَاعِظُ الْمَشْهُورُ الْأَسْتَاذُ فَتَحَ اللَّهُ كَوْلِنَ"، وَتَحَيَّنَ الْأَسْتَاذُ فَتَحَ اللَّهُ الْفُرْصَةَ لِيَتَسَلَّلَ مِنْ بَيْنِ الزَّحَامِ، وَرَكِبَ مِنْ فُورِهِ سَيَارَةَ تَنَادِي: إِزْمِير.. إِزْمِير..، وَلِحَقْنَا بِهِ بِصَعُوبَةٍ فِي وَسْطِ هَذَا الزَّحَامِ، وَلَمْ نَعْرِفِ السَّبَبَ؛ وَعَلِمْنَا بَعْدُ أَنَّهُ غَضِبَ كَثِيرًا عِنْدَمَا سَمِعَ صَوْتِ مَكْبَرَاتِ الصَّوْتِ، فَغَادَرَ الْمَكَانَ، وَلَمْ يَعْظُ فِيهِ ذَلِكَ الْيَوْمَ.

وَمِثْلَ هَذَا وَقَعَ فِي مَدِينَةِ بُورْصَةِ أَيْضًا، فَفِي إِحْدَى الْمَحَاضِرَاتِ

تعالّت أصوات التصفيق عندما بدأ الأستاذ فتح الله بالحديث، فأشار إليهم ألا يفعلوا، إلا أنهم فعلوها ثانية، فحملق الأستاذ كالعقاب هذه المرة وأكمل حديثه، فلما تكرر الأمر قال: "السلام عليكم"، وغادر المكان، وكانت المحاضرة في سينما، ويحضرها جمع جُمّ من الناس".

نعم، إنّ مواظب الأستاذ فتح الله بالغة التأثير، لكن لا يمكن أن نخترل وصفها بيانه المفلق فحسب، فعلاوة على هذا تلقاك مُعاناته قبل أن يتفوه بأية كلمة، فقبيل الموعدة بيوم على الأقل يتفاعل مع موعدته في جيشانٍ هائل؛ لذا كان يفيض إخلاصاً وصدقاً في وعظه للسامعين، ولا يني في محاسبته نفسه طوال الموعدة، ولا يقول ما لا يفعل، وميزانه في هذا الأمر حساس جداً، يقول: "لو تئأبْتُ أثناء الصلاة في الليل، لقضيت شهراً لا أنكلم فيه بتأتاً عن الصلاة أمام عُمار المسجد"؛ إن هذا ليشير إلى محاسبته العلية ونظامه الداخلي العالي.

كان الأستاذ فتح الله يُعنى بشؤون الطلبة عن كُتب، رغم برنامجه المكثف، وبلغ عدد من يُوليههم عنايةً خاصةً سبعين طالباً؛ وقد أينعت دروسه بتأثيرها فيهم سعادةً وأملاً في ربوع قلبه.

ويحكي الأستاذ نكتة لأحد طلابه في هذه الفترة تشير إلى مدى تأثير دروسه فيهم، يقول: "إن كانت أعينُ الطلاب في درس الأخلاق لتفيض من الدمع، وذات ليلة كنت أتجول في غرف النوم، فرأيت خليل مريك قد ربط نفسه بأعلى السرير المزدوج، فسألته عن صنيعه، فقال: "فكرت فيما قلته بالأمس، فربطت نفسي لئلا يغلبني النوم".

مضت سنتان على وصوله إلى إزمير؛ فازداد عدد الطلاب كثيراً، وبات الاهتمام بهم في فترة الصيف ضرورة؛ فقام بتنظيم دورات تأهيل

في مخيمات صيفية، فواجهته عقبة التمويل، حقاً إنها معضلة، فقصد أنقرة يلتمس من أهل الخير الذين يعرفهم من يمول حاجات المخيم لا سيما الخيام، فنهض هؤلاء بإنشاء أول مخيم، فالتحق به سبعون طالباً؛ وما زال العدد يزداد في الأعوام التالية، حتى صار الطلبة في السنة الثالثة يتناوبون على المخيم لكثرتهم.

اضطرَّ الأستاذ فتح الله -وهو من يقف وما يزال وراء الخدمة يومَ أن بدأت على هذه الشاكلة- إلى الاحتكاك بمن يتربصون به ويشيرون الزوابع من حوله، وكان منهم أن أرسلوا خطاباً فيه ما فيه من تحقير لقاضية كانت تنظر في دعوى ضده في أدرنه، محاكين توقيعه؛ فتحترت النيابة عنه، إلا أن وكيل النيابة أدرك بعد التحري أنها مكيدة مُلَفِّقة، فبرأ ساحتَه.

وبينما الأستاذ يُمنى بمثل هذه المكائد أخذ بعض الإداريين في سكن الطلاب يثير المشكلات أيضاً؛ فقد كان في صلته العميقة بالطلاب وتأثير وعظه فيهم ما يثير حفيظة بعض الإداريين في السكن والوقف، كان هو المعرفة إلا أنهم أرادوا له أن يكون نكرة؛ فبدلوا قصارى جهدهم ليقصوه عن عمله؛ ويقتضب الأستاذ فتح الله وصفه لهذه الفترة الحرجة بقوله: "برح بي الألم حتى لكأني ألق الصبر"، فتجشم الصبر على صناع المشكلات، فلما بلغ السيل الزبى اضطرَّ أن يغادر كوخه الخشبي بعد خمس سنوات أمضاها فيه، فترك هذا الرحيل أثاراً كبيرة في عالمه الداخلي، وكان قد علق هذا المكان فتجلى تعلقه به في كلامه عن كستانه بزاري إذ يقول: "كان سكن الطلاب في كستانه بزاري كل شيء في حياتي، ولم يخطر لي على بال أن أرحل عنه يوماً، حتى إنني تمنيت أن يكون أحد أركانه قبراً لي، فمرادي الأول والأخير أن أدفن في كستانه بزاري، لأسمع أصوات

الطلاب من قبري؛ نعم، فهذا هو كل ما أتمنى وأطلب من الدنيا؛ لذا رفضت دون أدنى تفكير ما عرضهُ عليّ رجال الأحزاب بعزم وإصرار من منصب رفيع".

"كانت حدة الأزمات في كستانه بزاري تزداد يوماً بعد يوم دون توقف، فاتخذت منزلاً في حيّ "كوزل يالي"، وفي ليلة ليلاء جمعت أمتعتي وحملتها في العربة، وساعدني الطلاب في ذلك، رحلت عن كستانه بزاري وعيناى تفيضان من الدمع، وقلبي يتلظى بلوعة الفراق، فلربما برّح بي الشوق إلى كوخى الخشبي الذي أنستُ به سنين عدداً، ويكأنّي فقدتُ شيئاً من جسمي بعد أن ألفتُ كوخى وكستانه بزاري، ناهيك عن طلابي الذين نزلوا مني منزلة الروح من الجسد...

وأنى لي أن أنسى تيكم الأيام، أو كوخى الخشبي، وقد أفضيتُ بأقدس أسرار روحي إليه؟ لا أظنّ أنّ لي أن أنساه، وكيف أنساه أو أنسى طلابي الذين يتراءى لي خيالهم في كلّ شيء، ففي لحظات الوداع كانت أعينهم تفيض من الدمع حزناً، وكأنّي بنظراتهم البريئة تتوسل وتستغيث: لمن تتركنا؟ أه آه... ليتني أقدر أن آخذهم معي جميعاً؛ إلا أنّ ذلك لم يكن في وسعي يومئذ".

"كأنّ عجلة الزمان لا تدور، فالثواني باتت سنين، أمّا الأيام التي قضيتها مع طلابي فأكاد أتخطى فيها الزمن وكأنني أسابقه، فما أقوم به وما ينبغي عليّ أن أفعله يضيق به الليل والنهار، فالواجبات أكثر من الأوقات، أي هل لمثل هذا الوقت الضيق أن يستوعب هذا الكمّ من العمل الذي يتطلّب أكثر من أربعة وعشرين ساعة في اليوم؟"

خَلَّف الرحيل عن كستانه بزاري حزناً هائلاً، فهذا المكان ليس  
غيره، فكم وكم من الخِدمات شَعَّ نورها منه.

في هذه الفترة لمعت في الأفق فكرة إصدار جريدة، فأصدر هو  
وصالح أوزجان جريدة أسبوعية اسمها "الاتحاد"، وحظي صدورها بتأييد  
السيد زبير كوندزُ ألب، وسرعان ما استفحل الخلاف حول الجريدة، فإذا  
بها بؤابة خلاف وقد كان يُرجى لها أن تكون رابطة لا ممزقة، فلما رأى  
الأستاذ فتح الله أنَّ الأمور لا تسير على ما يرام، وأن الجريدة لا يمكنها  
تحقيق هدفها على هذا النحو، عزف عن المشاركة في فعاليتها.



توديع الأستاذ فتح الله أثناء مغادرته إزمير للحج ١٩٦٨/٢/١٨م

وفي هذه الفترة أيضاً سافر الأستاذ فتح الله ليحجَّ، وكان ثالث ثلاثة  
أرسلتهم رئاسة الشؤون الدينية مشرفين على بعثة الحجَّ عام ١٩٦٨م،  
فأورثته تلك الزيارة فضل شوق وشغف بحياة الصحابة لا سيما أنه ترعرع  
على حبِّهم، وكان إذا تحدَّث عن محبَّة النبي ﷺ يغطُّ في بكائه غططة

القُدْر، وكانَ هذا الشوق هو رفيقَه في رحلته كُلِّها، وها هو ذا يحكي مشاعر غمرته في أول وهلة رأى فيها الكعبة والروضة المطهرة يقول: لما رأيت الكعبة والروضة المطهرة لأوّل وهلة إذا بي في حالة روحية لا تُوصَف، ولو فتّحت لي أبواب الجنة كُلِّها حينئذ -على فرض المستحيل- ودعيت إلى دخولها، لرغبت عن دخول الجنة حتمًا ولرغبتُ في البقاء بجوار الكعبة الشريفة والروضة المطهرة؛ لقد وجذت في مجاورة الحرم الشريف والروضة المطهرة لذة روحية غامرة وممتعة ليس لها نظير...

تذكّرتُ طلابي لا سيما طلاب كستانه بزاري، فلهم عندي مكانة متميزة، فأعددتُ قائمة بأسمائهم، وأحضرتها معي إلى الحج، فدعوت لهم فردًا فردًا، علاوة على أنني دعوت لآخرين أعرفهم بأسمائهم".

من ذكريات أيام كستانه بزاري التي لا يتأتى نسيانها المخيمات التي أطلت ببشائر جيل جديد، وهي مخيمات صيفية أنشئت في "بوجا" بإزمير عند قرية "قائناقلار" في عرين أشجار الصنوبر بين الحقول؛ أنشئت لتربية الطلاب وتهذيبهم، وتعليمهم كيف ينبغي أن يستثمروا وقتهم بشكل صحيح، فكانت مكانًا مناسبًا للمخيم، فالمكان يمتاز بالهدوء والهواء الطلق على ما فيه من مشقة في تحصيل مستلزمات الحياة.

ويعرب الأستاذ فتح الله عن أهداف المخيم قائلاً: "يهدف المخيم إلى استغلال الطلاب لعطلة الصيف في هذه المخيمات، كيلا يذهبوا إلى قريتهم أو بلدتهم فينقطعوا عن طلب العلم، ومن أهدافه أن تنظم عقولهم وقلوبهم وأرواحهم، وأن يتعمقوا في العلوم الشرعية"، ولهذه الكلمات إشارات دالة تفسّر تأثر من كانوا معه بأفكاره حينئذ. ويذكر الأستاذ أن الأيام التي قضوها في المخيمات تركت أثرًا عميقًا على الذين حضروها.

في السنة الأولى ضمّ المخيم ٥٠-٦٠ طالبًا، وفي السنة الثانية والثالثة ناهز عددهم الألف، فصاروا يتناوبون بعدئذ على المخيم، تراوحت أعمار من التحق بالمخيم في السنة الأولى بين ١٣-١٤ عامًا، ثم التحق به طلاب الجامعة في الأعوام التالية.

لم تكن المخيمات مألوفة في هذه الفترة، فلم تجد كثيرًا من المؤيدين، فمن الناس من تردد في تعليم الشباب بهذه الطريقة؛ فواجه الأستاذ فتح الله عقبات عدّة في هذا الصدد، منها محاولته توفير مصروفات المخيم من ناحية، وتطبيق النظام والالتزام به في الحياة اليومية بالمخيم من ناحية أخرى، وتصديّه لصعوبات المكان الذي نُصِب فيه المخيم، يقول: "كان المخيم الأول كثيبًا بعض الشيء؛ فأنا المسؤول عن كل شيء، من نصب الخيمة إلى تجهيز الطعام، ولو فسد شيء من هذا فعليّ أن أصلحه، وكثيرًا ما كانت مضخة البئر تتعطل، فأصلحها بنفسني في كلّ مرّة؛ ولم تتوفر الكهرباء في العام الأول، وحصلنا في العام التالي على مولّد كهربائي صغير بلغت قوّته ثلاث كيلو وات، وكثيرًا ما كان يتعطل المولّد أيضًا، وتصلّحه عليّ طبعًا..."

وكلما ازداد عدد الطلاب تضاعفت المشقة، ففي السنة الثالثة خاصّة حلّت بالمخيم أزمة كبيرة في المياه، كنت أحمل المياه بعربة من الآبار من مسافة بعيدة في تلك المنطقة، فكنت السائق والساقي والمدرّس، في الحقيقة إن توفير الطاقة لكل ذلك كان أمرًا شاقًّا لأبعد حد، لكنني كنت أحاول جاهدًا.

كان المولّد الكهربائي قديمًا جدًّا، كنت أضطر كلّ يوم إلى فكّه وإصلاحه، ويكأنّي أصبحت مهندس مولّدات كهربائية! وأحيانًا كان لا

بدّ من حفر البئر قليلاً، فأحفره بالمجرفة بمساعدة الأصدقاء، ثم تعاضدنا لنبنى الحّمّامات، ففعلنا، بل حفرنا لها الصرف الصحي أيضاً.

وإنما أذكر هذه الأعباء لأنني أرى فيها أجمل لحظات حياتي، لا لأحكي عن مكابدات قاسيتها يومئذٍ.

وتفاقت المشكلات بثلاثة الأثافي؛ إنّها مشكلة تخلي أمناء الوقف في كستانه بزاري عن مساعداته كلياً للمخيم لا سيما المخيم الثالث.

وضاق بعض الناس ذرعاً بزيادة عدد المقبلين على المخيم، حتى وصل الأمر بهم إلى قطع الطريق على الأستاذ فتح الله وطلابه، بل قاموا بتهديدهم بشكل غير مباشر؛ فطاف الأستاذ فتح الله شهراً كاملاً في جبال "نيف" يبحث فيها عن مكان للمخيم، حيث يقول الآن: "أعرف جبال نيف كما أعرف راحة يدي" إلا أنه لم يجد فيها مكاناً مناسباً، وخاطر بكل شيء وأنشأ المخيم في نفس المكان.

كان الأستاذ فتح الله يقوم بأنشطة المخيم كلّها، ولا يغادره بلا ضرورة، اللهم إلا يوم الجمعة إذ كان يذهب إلى إزمير يخطب الجمعة ويلقي المواعظ؛ وفي السنة الثانية أخذ إجازة ولم يغادر المخيم، أما في السنة الثالثة فكان يغادر المخيم كلّ جمعة فقط ليخطب ويعظ.

أما أيام المخيمات بأنشطتها الاجتماعية والرياضية الكثيرة علاوة على ما فيها من دروس تُلهب حماس الطلبة فيصفها الأستاذ فتح الله قائلاً: "ازدان المخيم بالنظام والأدب والعلم معاً؛ فخطونا بهذا أول خطوة نحو عالم طالما حلمنا بنصرتة وصفاء آفاقه؛ واقع الأمر أنني لم أكن أفكر في مغادرة المخيم والنزول إلى المدينة بلا عذر، نعم كنت آتي إزمير كل جمعة للخطبة والموعظة، وفي السنة الثانية أخذت إجازة ولم

أغادر المخيم قطّ، أما في السنة الثالثة فلم أكن لأغادر المخيم إلا يوم الجمعة للخطبة والموعظة، لم يكن شيء على وجه الأرض يعدل مذاق التعبد بقيام الليل، وبالتأهب لصلاة الفجر على وقتها في صيف ليليه كأنها الضيف، وبالقراءة حتى السحر. حاولت أن أنظم بقصيدة - وإن لم تكن بذاك - عن مشاعري تجاه هذه المخيمات، وليت شعري هل استطاع شعري أن يعرب عن شعوري؟ لكنني لم أَلْ جَهْدًا في التعبير عن خبايا ما في سريرتي من شوق ولذة".

"أيام المخيمات" هذا هو اسم القصيدة التي أشار إليها، وكتب الأستاذ مقالة في الموضوع نفسه عنوانها "الزمن في المخيمات".

ومن الأهمية بمكان لمن يؤرّخ لتلك الحقبة واصطبغ بمشاعرها أن يصف لنا في شعره أو مقالته كيف مرّت تلك الأيام، وجوهر ذلك النشاط المتميز الذي أُعدّ للشباب في فترة حيل فيها بينهم وبين الروحانيات.

## الزمن في المخيمات

إن الحديث عن يوم من أيام المخيمات بل عن ساعة فيه، لا عن أسابيع أو شهور أمرٌ لا طاقة لنا به، وأنى لنا ذلك! وهي أشبه بحياة الجنة التي تسري في ذاتينا وتعيش في أعماق أرواحنا وتفوق تصوراتنا بأذواقها الأخروية؟ كلّ دقيقة فيها كانت كغمام الربيع تمطرنا بالذكريات، ونحن نلقي بأنفسنا على سفوح المستقبل النورانية في هذه الأحلام، ونحيا مرة أخرى بأيام الماضي المجيد بنورها وألوانها وبهجتها ولهجتها... وكنا نستشعر بعمق أكبر أحيانا المحاسنَ الحاليةً بألوان الذكريات وأضواء المثل العليا، ولربما كنا ندرك في بضع دقائق بأن البقاء يحيط بمشاعرنا وأفكارنا.

كنا نستيقظ كلّ سحر عندما تهب نسمات الأنس، على خريف الماء، وحفيف الأشجار، وزقزقة الطيور وأحيانا على نسيم عليل، فنهرع إلى السجاد الضامى إلى سماع أنين الساجدين وآهات المتهجدين، ونشعل من جديد القنديل الذي كنا نعده للممر البرزخي، ونهرول إلى نوره عندما يشتد ظلام الليل، ثم نأخذ في انتظار شروق الشمس كما تنتظر القلوب المؤمنة البعث والحشر في قبورها.

كانت الشمس تنساب من بين أغصان الأشجار كل صباح، وترسل إلينا نشوة الأوراق بخيوطها الياقوتية الذهبية، فتغشى العيون، وتمتلئ الخيام والتعاريشُ بيوم جديد لامع منعش مشمس محمّل بأحلى النسمات، يجعلنا نعيش في عالم من الأحلام يبعث على الحيرة والذهول.

وبعد الضحى نقع تحت وطأة لهيب حرارة الظهيرة التي ينفرد الإنسان فيها بروحه، مما يدفعنا إلى اللجوء والركون إلى أحضان أشجار الصنوبر والدلب. فكنا نتجول في حقب زمنية تتداعى فيها الأفكار بين حفيف الأوراق التي تحركها تلك الرياح اللطيفة، وعندما تشتد علينا حرارة الشمس أحياناً تزعزعنا الوسواس القائلة: "لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ"، لكن سرعان ما نفيق إلى أنفسنا جفلين قائلين: "قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ"، وكأننا في ساعات الصباح اللطيفة الجميلة الضاربة إلى الزرقة كنا نفتح على عالم آخر وأعماق أخرى.

كم كنا نتمنى في تلك اللحظات أن نكون شعراء حتى نترنم بتلال الدنيا المطلّة على الآخرة، أو رسامين حتى نرسم ونخلد هذه الجماليات المتداخلة، أو موسيقيين حتى نسمع تلك الجوقات الموسيقية الطبيعية التي نسكر بأنغامها، ونشاركها ألحانها.

وبعد العصر كانت أشعة الشمس الذهبية في هذه الساعات الضاربة إلى الزرقة تميل إلى الأفول رويدا رويدا. فنبداً في الشعور بساعات المساء البنفسجية العميقة البليغة. وحينما تودّعنا الشمس وهي تلوح بمنديلها الأصفر فوق أشجار الصنوبر والدلب كنا نشعر بالغروب بكل حزن وأسى، ونجفل ونرتعد ونحن نشهد كيف يضرب الفناء والزوال بكل قوة على وجه كل شيء يذبل شيئاً فشيئاً، ولم نكد نهار قائلين: "لَا أَحِبُّ الْأَفْلِينَ"، حتى نستعيد قوانا بنفحات: "إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ"، ونأخذ في الاستعداد إلى التجوال في فضاءات الليل التي تلجئ الناس إلى الاستغراق في الأفكار العميقة.

ومع المساء تشتد الرياح التي كانت تهبّ في العادة حلوة لطيفة، وتصيبنا بالبرد أحيانا وكأنها رياح الشمال. في تلك الأثناء يسكن جميع مبتهلي النهار الذين تربعوا فوق الأشجار، ولا يُسمع إلا أصوات بلابل الليل. وفي ساعات متقدمة من الليل تشتد الألوان وتعذب، وتصبح أبلغ تأثيرا وأكثر جاذبية حتى تجعلنا نفكر في حيرة: إذا كان طريق الجنة ممتمعا كلّ هذه المتعة؛ فكيف هي إذا؟!.

في هذه الظلمة الحالكة التي تفقد فيها المصاييح بريقها تبدو ويبدو كل شيء مختلفا، وفي هذا الجو الساحر الذي يختلط فيه الخيال بالحقيقة يصبح أهل المخيم المؤهلون للولاية أشبه ما يكونون بالروحانيين، ويسري هذا الجو النقي في أعماقنا سريان النهر.

وعندما يحل وقت النوم تنطفئ كل الأضواء ما عدا قنديلا صغيرا أو اثنين. فتتذكر الأرواح العوّاصة فناءها وتبحر في التفكير فيه وكأنها تتحنث، وتأخذ في البحث عن الما وراء من طرق شتى، وتصرّ على فتح أبواب السموات بمختلف اللغات، فتصاب القلوب بقشعريرة من جراء صيحاتها التي تحاكي أنات إنسان عصر السعادة.

وفي أوقات معينة من اليوم تنزل علينا الصلوات والتسبيحات والأذكار الجماعية، حتى كنا نشعر وكأن الملائكة الذين ينزلون بها يمسحون على رؤوسنا بأيديهم اللطيفة الرقيقة الوضّاءة.

كانت هذه الصلوات والأدعية تسري إلى أعماق أرواحنا بمعانيها التي يتعذر التعبير عنها وطلاسمها التي يصعب التصديق بها، ثم تعرض أمام ناظرينا خرائط الرحلة السماوية.

المخيم في رأبي كان بقعة مباركة تهبّ عليها رياح المحبة والشفقة ووجود الأصدقاء. كنا هناك مثل النحل في خلية روحية، نتردد بين رحيق الأزهار والعسل اللذيذ، إحدى يدينا في الأزهار والأخرى في الخلية. ولقد توحدت هذه الأفكار والمشاعر وامتزجت بأرواحنا، ورغم مرور سنين عدة فإنني ما زلت أشعر بها بقوة وحيوية في قلبي وروحي وذاتي.

كانت تلك اللحظات الشاعرية النيرة التي قضيناها في المخيمات تتلون خاصة أثناء أداء العبادات ودروس الوعظ وحلقات المذاكرة وتعمق وكأننا نحضن الروحانيين. وكان الحنين إلى الجنة يعلن عن نفسه في أرواحنا على اعتبار أنها هي الوطن الأصلي لأبينا آدم عليه السلام، حيث كنا نشعر بين أطراف الضياء بالدقائق والساعات في المخيمات والجو الأخروي المفعم بالليونة والجدية والوقار، وأن الله تعالى الذي استخدمنا في العبودية سينجز وعده لنا. فكنا نقول في أنفسنا: "هذه هي الحياة!"

إنني لا أصدق أن هذا الماضي المبارك المنير كان عبثاً وهباء؛ لأن تلك الأيام وإن مرت خلال حقبة زمنية وجيزة إلا أنها كانت بالنسبة لنا مرصداً للماضي بأكمله، وخرائطٌ برزخية تتبدى فيها أحلام المستقبل.

وكلما قلبت ذكريات روعي أرى أن تلك الأيام المفعمة بالشاعرية والجادبية والشفقة واللين ما زالت تفتح حيوية في داخلي على الدوام وكأنها ورود تفتح براعمها دون اعتبار لموسم أو غيره، لم تكذب تدبّل حتى تفتح من جديد، فتتقد روعي بأسمى المشاعر الرومانسية، وتتجدد في ذهني ذكريات لطيفة، حتى إنني أشعر بنفسي تحت تلك الأشجار اللطيفة وكأن أصوات الجراد قد اختلطت بأصداء الطلاب ذوي الأنفاس

النورانية وتسيبحاتهم وتراتيلهم وشكلت جوقة موسيقية مختلفة. ثم أبتسم على طالعي في متعة مختلطة بالأحزان.

من يدري كم من أسرار لم تكشفها لنا تلك المخيمات! لقد استوعبنا ما تسلسل منها إلى آفاق أفكارنا وتخيلاتنا، وحاولنا عرضها بقدر المستطاع، غير أن تلك الأيام ستظل بالنسبة لي حتى النهاية أزهى فترات حياتي.

فلو أتاحت الفرصة للناس لاصطحب ذكرى ما في الرحلة إلى الدار الآخرة فلا جرم أنني كنت سأحمل معي ذكريات تلك المخيمات التي تشبه أزهار الربيع في تألقها وخيالاتها وغموضها وزرقتها.

ورغم أنني أعرف صعوبة الحديث عن هذا الجو الحالم في تلك المخيمات لمن لم يعيشوها معنا فإنني وددت أن أتحدث عنها؛ لعل رغبتني هذه تسوق المؤهلين الذين يسمعون حديثي ويرون عجزتي وضعف قابليتي في السرد والحكي إلى التنقيب عن هذه المخيمات ودراستها والتعبير عنها بأبعادها الحقيقية. فإن كان لحديثي منفعة بهذا القدر اعتبرت نفسي سعيدا ومحظوظا.

## أيام المخيمات ٢٥

إن الذين عاشوا معنا تلك الأيام المفعمة بالأحلام  
حيث يهب نسيم الجنان،  
سمع من سمع منهم نعمات البقاء  
بأصداء فولاذية.

\*\*\*

لتلك البقاع أشواق وأنين  
كأنها تشتاق إلى تلك الوجوه المشرقة  
فلو نظقت الأشجار والأحجار  
لحدثتنا بأحاديث ساحرة

\*\*\*

تغريد الأطيار، وحفيف الأشجار، وأنين الأخيار  
وأفتدة غدت لنجوم الليالي من السُّمَّار  
في كل مكان قلوب أوَاهة تجأر ليل نهار  
نعمات ما زالت أنات للوادي الأخضر

\*\*\*

قامات تقوم حتى الصباح بالدعاء  
وعيون ساهرة ذات معان بلورية  
إن هذا التضرع يماثل ما في السماء  
سنوات خلّت وما زال قلبي يحنّ لتلك الأيام

\*\*\*

لو رأيت النهر لارتعدت وقلت:  
ما زالت تلك النظرات السعيدة تبتسم في قاعه  
ولبادرت ساعياً إليه  
إن اليوم فذاك وإلا فغدا...

## أحداث ١٢ مارس/آذار ١٩٧١هـ

ومضى الأستاذ فتح الله في مسيرة الوعظ بعد أن غادر كستانه بزاري. لكنه -وهو القائل: "للأحداث لغة خاصة"- كان يرى أن الدولة على حافة الهاوية، وفي مذكرات الجيش إلى الحكومة في ١٢/٣/١٩٧١ ما يؤكّد ذلك؛ بدأت الاعتقالات. ولم يكن للأستاذ فتح الله أيّ هدف سياسيّ في حديثه، ولم يتدخّل في أيّ مسألة سياسيّة، وكان إذا اجتمع بالناس في حوار أو مداورة بذلّ وسعه في تجنب أيّ موضوع يُقلق الناس، ورغم هذا كابد -وهو طليق- أكثر من أصدقائه المعتقلين، يعمل ليل نهار على براءتهم وإطلاق سراحهم؛ ثم اعتُقل في ٣/٥/١٩٧١ بعد نحو شهرين من صدور المذكرة، يقول عن هذه الفترة الحرجة:

"دخلت منزلي فرأيت الأمن السياسيّ قد قلبوه رأساً على عقب، وجمعوا ما فيه في ردهته، فقالوا لي: أهلاً وسهلاً، ومضوا في التفتيش، لكنهم تظاهروا باللطف، فوجدتهم قد أغلقوا النوافذ، وأسدلوا الستائر؛ صادروا نحو أربعين كتاباً، لكن لم يصادروا أجزاءً من كتب ذات أجزاء تفقد قيمتها بفقد بعضها، وليس فيها واحد يدينني. قلت: "هل سأناخر، فأكل لقيمات؟" أردتُ أن أسدّ مسغبتي، وأن أطلع على نياتهم، قالوا: "كُل حتى تشبع، فلا ندري متى تعود". فتناولت شيئاً من الأرز، ثم ذهبوا بي إلى قسم شرطة "بَبَجِيك"، فلما وصلنا حلّقوا شعري وشاربي، حتى ظننت أنهم سيأتون على حاجبيّ أيضاً، ثم التقطوا لي صوراً من كلّ جانب، وقبل أن أُساق طلبتُ ماءً للوضوء، فجاءني عريف بقصعة فيها ماء -لست أدري

طاهرًا كان أم لا- فتوضأت، فلما خرجنا صليت العشاء، فاستروحت لأنني أمنت فوت صلاة مفروضة حتى الصباح.

زجوابي في حجرة صغيرة، وجردوني من كل شيء حتى القرآن الكريم ودعاء "الجوشن الكبير"، فكنت أقرأ القرآن عن ظهر قلب، أما الجوشن فشقّ عليّ تذكره، فأحزني كلّ الحزن أنّي لم أحفظه، والحسرة تقتلني يا ليتني حفظته، كانت الحجرة كأنها مخزن ليس فيها سوى رُوْزَنَة أي كُوّة في السقف، ولما زاد العدد استبدلوا بها حجرة كأنها غرفة طعام، فهي مرقنا الجديد، لكن كان فيها نوافذ للتنفس الجيد، فقضينا فيها عشرين يومًا... راسلتُ "إسماعيل بيوك شلبي" سرًا، ليأتيني بالجوشن الكبير، فجاء به قبيل العصر، فانكبّ عليه قرؤه سرًا بمتعة والدموع تخالجي القراءة، سبحان الله! كآني لم أقرأه من قبل... مكثنا هنا طويلًا، كانت ليالي ألم لكنها ملأى بالأمل، ليلاء لكنها منمنمة بالأضواء؛ عدنا جنودًا بعد عشر سنوات على أداء الخدمة العسكرية؛ فهذا ضابطُ صفِ حَزَقْ، كلما مرَّ بنا عَفْنَا، ورأى "مصطفى بيّزلك" وهو تزب أبيه يكلمه مضطجعًا، فأغلظ له في القول: "ألم تؤدّ الخدمة العسكرية؟! كيف تكلمني هكذا؟" ثم علمنا أنه يضيق بالدين والمتدينين، ولهذا يقسو علينا. كنا نقرأ ونتعبد ونبحث عن سبيل للخروج، وبدأ بعض الوطنيين يصلون.

ثم علمت أن كل موعظة ألقيتها سُجّلت في ورقات، وكتبوا اسمي بخطّ عريض أعلى كلّ ورقة، ولم يخلُ حديث أصدقائي من ذكر اسمي، فعل، وقال... أمرٌ محيّر، فوكيل النيابة يسأل: ما رأيك في هذا كَلّه؟ فأجبتُه برباطة جأش: "يبدو أن رجال المخابرات لا عمل لهم، فهم يكتبون هذا من وحي خيالهم".



أول جلسة محاكمة في ١٩٧١/٩/٢ في فترة اعتقاله

غضب وكيل النيابة، وقرأ الاعترافات الموقّعة تباعاً، فنظرت في التوقيعات، فعجبت! لا أدري ماذا أقول، فشعرت بمشقة يوم الحساب وأهواله، اعترافات كلّها ملفقة ظلماً... لم ينصفني أحد ولو بكلمة حتى الآن، فقلت: "لم أفهم شيئاً مما قلت، اختلط الأمر عليّ".

ضقتُ ذرعاً بالأمر، لقد أدليت بأقوالي من قبل في ثماني ساعات تماماً في قسم الشرطة، سُجلت أجوبتي في صفحة واحدة لا أكثر، لأن الأسئلة كلها وهمية، فماذا أقول؟ أمّا أصدقائي فاعترفاتهم مُلزمة، فقد كتبوها ووقعوا عليها؛ لقد أرغمنا رجال الأمن على الاعتراف، لكن الأصدقاء لم يبالوا فقالوا الحق ولم تتناقض أقوالهم.

ذكروا بعض الأسماء وقالوا: "هل تعرف هؤلاء؟ كيف عرفتهم؟ ما الكتب التي تقرأها؟ هل قرأت رسائل النور؟ لم أتوقع هذا السؤال فسؤال واعظ عن أمرٍ كهذا يُعد أمراً كوميدياً؛ قلت: قرأت شيئاً منها، سألوا ما

الذي قرأته منها، قلت: مثلاً قرأت "الكلمة الثالثة والعشرين" ورسالة الحشر" وكذا وكذا، وكلّها كتبٌ حوكمت وبُرئت ساحتها مرارًا، وما زالوا يسألوني عن الكتب وأنا أسرد لهم أسماء كتب لا يعينهم أمرها حتى قلت: لا يحضرني غير ما ذكرت، فكفّوا عن أمر الكتب؛ لم يكن في أقوالي ما يدينني، لكن الأوامر العليا تحتمّ اعتقالي، وهذا ما حدث".

قضى ٢١ يومًا في مركز الاعتقال، وشهرًا في سجن "شرين يز" وستة أشهر ونصفًا في سجن "بادملي"؛ أيام السجن كليلي الاعتقال في الضيق والظنك؛ فعانى من محاولة التأقلم مع هذه الظروف الصعبة، ومن وحشية السجن التي تؤذي موتى المشاعر، لكن الذي أحزنه أكثر من حزنه مما عانى هو ما لقي جليسه المحامي السيد "بكر بزق" من تحقير، ولما تسمّم لم يعرضوه على طبيب كأنهم يتمنون موته، بل صادروا ما معه من دواء لا غنى عنه، فتضاعفت آلام الحساسية التي كان يعاني منها ولم تعد تُطاق، وما كانوا ينقلونه إلى المستشفى إلا إذا أشفى على الهلاك.

كانت المحاكمة خسرًا ينثُ آلامًا جديدة، أخطرها افتراءات فئة وغدر أخرى تظاهرت بالإخلاص؛ سعت المحكمة بكل سبيل لإدانة المتهمين بلا دليل، ففندوا دعاواها ولم تطلق سراهم؛ يا لهول ما مُني به الأستاذ فتح الله من غدر الصديق وافتراء العدو، لكن كل هذه المعاناة لم تحُل دون اتخاذه السجن "مدرسة يوسفية"، أنشأ علاقات طيبة حتى مع اليساريين، ووجد في هذا الظرف الخانق أناسًا برهنت فعالمهم على ولائهم واستقامتهم؛ ومن ذكريات اعتقاله أن بضعة مجاذيب في غرفته ضايقوه كثيرًا، ورموه وأصدقاءه في العقيدة، وقدموا لهيئة المحكمة معلومات

خاطئة عنهم، كان لديهم انحراف عقائديّ خطير، يعتقدون أن جيشاً من الجن آتٍ لينقذهم؛ فحاورهم الأستاذ فتح الله ليصلح عقيدتهم.



مصطفى بيرلك والأستاذ فتح الله والحامي بكر برق في أول جلسة بإزمير ١٩٧١/٩/٢ م

في هذه الفترة توفي عمّه أنور، فزاد حزنه حزناً، ثم أُطلق سراحه في ١٩٧٢/١١/٩ م، وعندما خرج لم يجد مأوى فضاقت صدره بذلك، يقول: "لما خرجنا استقبلنا صادق بك، فلما ركبت السيارة تذكرت أنه لا مأوى لي فقلت بكل أسى: وماذا عساي أن أفعل إذا؟".

## أدرميت

لما أُطلق سراحه قدّم طلبًا لوزارة الأوقاف ليوظف مجددًا، فتأخر الردّ، فرجع إلى أرضروم، يقول: "انطلقت من إزمير وحقّيتي بيدي وشعور غريب ينتابني، كما نزلت بها قبل ست سنوات وحقّيتي بيدي والأحزان تتجاذبني". ولما قضى مدة في أرضروم رجع إلى إزمير ليعظ في جامعي "صَحْلَبَجِي أُوْغْلُو" و"السَّنَجَق"، جاء تعيينه في ٢٣ فبراير/شباط ١٩٧٢م "واعظًا أول" بأدرميت، يقول: "بين أدرميت وإطلاق سراحي ثلاثة شهور، لكن هذه الفترة ليست فترة انتظار تمامًا، عدت إلى إزمير بعد أن زرت أرضروم لمدة قصيرة، لأعظ في جامع صَحْلَبَجِي أُوْغْلُو، ولما اعتقلت نقل أصدقائي أثار منزلي إلى شقة في منطقة "صادق بك"، فلما رجعت من أرضروم استأجرنا منزلًا فورًا في "مكتوبجي" بـ ٥٠٠ ليرة.

ثم ألغت الأوقاف إذننا في الموعدة، وسرعان ما مُنعت أنا والأستاذ "شعبان دوز" والأستاذ "عثمان قرا" من الوعظ، كانت الإدارة العُرفية تضغط على الأوقاف لتبعدنا جميعًا عن إزمير. وعلى وزارة الأوقاف شاءت أم أبت أن تخضع لهذا الضغط، ولا يمكن أن نعظ إلا بقرار آخر، كان "إبراهيم علوي بك" موظفًا في الشؤون الإدارية آنذاك، فدعاني إلى أنقرة، وقال لي: "أين تريد سوى إزمير؟" كان "إسماعيل بِيُوكْ شَلِي" في أدرميت، فرجوت أن يكون لي جليسا، فقلت: "أدرميت؟" فُعِنت فيها، أمّا الأستاذ شعبان دوز فُعِنت في "نازلي"، وعثمان قرا -رحمه الله- في "طُرْغُتْلُو" نعم، طلبت أدرميت إلا أنني لم أكن أنتوي الذهاب إليها،

زارني في منزلي مفتي أدرميت رمزي بك ومعه السيد عارف جاغان ذو الخدمات الجليلة والقاضي نجم الدين كُونُلي رحمه الله، وأصروا وكأنهم يتوسلون إليّ لأذهب إلى أدرميت: "من فضلك، ستخدم الدين هناك أيضاً!" لن أنسى ذاك الودّ، وليس لي أن أعرض عن رغبتهم الملحّة هذه".

يقول الحاج عارف جاغان بك عن انطباعه الأول عن الأستاذ فتح الله: "حبّ عظيم في قلبي للعلماء ربّتي أسرتي عليه منذ طفولتي، نويت زيارة قبر "الشيخ إبراهيم حقي" -رحمه الله- مؤلف كتاب "معرفت نامه" في أرضروم، فقررت زيارته مع أسرتي، وصلنا من طريق ممر زيكانا عبر طرابزون، ثم علمنا أنه مدفون في تلو، وما ضاع جهدنا إذ رأينا الشيخ محمد قرقنجي.

وعند عودتنا من أرضروم بتنا ليلة في "آيدن"، وتناولنا الفطائر المحشوة، وجئت لأحاسب فقيل لي: حسابكم مدفوع، دفعه "الحاج كمال أريمز" على طاولة مقابلة، لا أعرفه ولا يعرفني، لكنه رأى أسرتي محجبة ففعل ذلك... سألتناه: لم فعلت ذلك؟ فقال: منزلي في طريق سفركم، أدعوكم للفطور، أول من حدثني عن الأستاذ فتح الله هو، فلم أع ما يقول تماماً؛ وبعده مفتي أدرميت فحدثنا عنه كذا وكذا، فانتهزت فرصة لزيارة سكن كستانه بزاري بإزمير، فاعتذر الأستاذ فتح الله عن الموعدة بمرضه، وكان يسكن في كوخ خشبي؛ تحدثت إليه، وقلت: ليتك تأتي إلى أدرميت، وعلمت بعد ذلك أنه كان سيأتيها بنفسه، وعندما جاء كان "صاري خوجة" هناك، فذهبنا معاً للموعدة، فلما انتهت ذهبت مع الشيخ صاري إلى المكتب أسأله ما رأيه فيه؟ وماذا أفعل، أللزمه؟ وعهدي بالشيخ أن ذلك يغضبه، فقال: "ماذا تقول يا بني؟ إنه ذو علمٍ لدنيّ، إنه

يبين حقائق الإيمان. "فاستمسكت به أكثر؛ وجاءني بعد ١٩٧٢م "سليمان قرا كُله" يصير عليّ لأشاركه الأنشطة السياسية، إذ سبق أن مارست شيئاً من السياسة في عهد "الحزب الديمقراطي"، وعزفت عنها بعد الانقلاب، فقلت: عذراً، أنظرنني أسبوعاً لأفكر، فسألت عنه الأستاذ فتح الله فعرفت أنّه لا يعيرها اهتماماً، فاعتذرت".

للخدمات التي تحققت خلال عدة أعوام في أدرميت مكانة خاصة في وجدان الأستاذ فتح الله، يقول: "خدمة أدرميت سبقت غيرها، قام أهلها بواجبهم، خاصة السيد عارف جاغان وابن أخيه السيد عبد الله الذين تحمّلا كثيراً من النفقات، علاوة على ما يأتي من القرى للطلبة الفقراء من مواد غذائية كالزبد والبيض والجبن واللبن".

## مَغْنِيسَا

أمضى الأستاذ فتح الله سنتين وأربعة أشهر في أدرميت، ثم عُيِّن في ١٩٧٤/٦/٢٩ م واعظاً أول في مَغْنِيسَا، والأمر فيها أصعب مما عليه في إزمير، يقول: "أقبل كثيرون على المواعظ، فالمسافة اقتربت والعوائق ارتفعت، لكنَّ مَغْنِيسَا لم تتحمَّس للخدمة؛ ولم تأتِ لها بجديد، فكل ما فيها من وعظ وصحبة ومخيمات وغيرها امتداد للماضي؛ كل شيء كما كان، نعم ربما توافد الناس فيها أكثر من أدرميت؛ لكن نسبته إليها خطأ، فالخدمة في تطور دووب بفضل الله عز وجل؛ أمَّا أدرميت فقضيت فيها سنتين وتيفاً بلغت الخدمة خلالها حدًّا أقرَّ عيني رغم أنني أتيتها على مضض - والله في ذلك حَكَم - بل فكرت بالاستقالة، ولعلَّ الألفة تفسِّر هذا؛ فما أشقَّ أن يفارق المرء إلفه إلى غيره، فأخلائي في إزمير، وفراقهم كهجران الأحبة لا يُطاق".

في مطلع رمضان الموافق ١٩٧٤/٩/٢٠ م بعد نحو ثلاثة شهور من تعيينه في مَغْنِيسَا توفي والده رامتز أفندي، فتزلزل من الأعماق، وبدا هذا في وعظه وحديثه عن هذا الحدِّث في مذكراته، يقول عن حقبة ما قبل الحدِّث بقليل: "أجل، كان عام حزن عندي، فيه مات صديقي العزيز القاضي نجم الدين كُونلي في أدرميت، وبعده بنحو شهر توفي والدي؛ وقبيل وفاتهما رأيت رؤيا، رأيت مرة أو مرتين أنّ طائرتين تبحران في أعماق السماء حتى اختفتا، وها قد غاب الفرقدان في شهر، اللهم فبلغهما رضاك".



جامع مُرادية الذي كان يعظ فيه الأستاذ فتح الله مَغْنِيسَا

ويوم تنفيذ التعيين في مَغْنِيسَا قَبَلت يد أبي وقلت: "أتأذن لي؟ سأبأشر عملي"، فقال: "انتظر إلى الخميس القادم"، ثم توقف وفكّر وقال: "اذهب، فهنا عينان اثنتان، وهناك آلاف العيون تنتظرك"؛ فعدت إلى إزمير، ولم يمرض أسبوع حتى جاء نعيه يوم الخميس، فعجِلْتُ إلى الحافلة، ومعني يوسف بكمزجي وكوسه محمود، وشيَعَنَا مصطفى بَرِك إلى المَرَأب، فكانت المواصلات ميسرة، ركبنا الطائرة من أنقرة ونزلنا بأضروم ظهرًا.



الأستاذ فتح الله يزور قبر والده رامز أفندي

في قرية قُورُوحُ في ٢٠/١٠/١٩٨٨

كم أحزنتني أنني لم أكن بجواره  
لحظة الوداع، وكم أغمّنتني غفلتي عن  
كرامته لما قال: "اذهب بعد الخميس  
القادم!" فذاك جرح ما زال يلتهب في  
أعمامي، وأنى لي بأبٍ مثله؟

كان أبي دقيقًا في حياته، الصلاة هي جلّ ما يشغله، بكاءً، وقته ثمين، إذا رجع من الحقل يتناول كتابًا قبل أن يخلع نعليه فيقرؤه ريثما يحضر الطعام، للقراءة عنده متعة خاصة، لسانه رطبٌ دائمًا إما بالقرآن الكريم وإما بتكرار ما حفظه من شعر عربي أو فارسيّ، أنا لا أتذكر أنني حفظت قصيدة البردة بنفسي، ولكنني حفظتها من كثرة تكرار والدي لها. وكذا الأمر في الشعر الفارسيّ الذي كان يسرده أبي في وعظه، كان يملأ وقته كلّه بالعمل الصالح الزاكي، ولا يعرف الفراغ، وله فضل عناية بالتفكير".

ومضى الأستاذ فتح الله يعظ في أماكن كثيرة عدا المساجد ويدرس الطلاب، ويحاضر في مجالات عدة داخل الوطن وخارجه، وفي مقاهي المدن عامّة وإزمير خاصّة.

## المحاضرات وحديث المقاهي حتى لا يبقى قلب لم تمتد إليه يد

ألقى الأستاذ فتح الله أولى محاضراته بجامعة أرضروم عن مولانا جلال الدين الرومي، فتركت أثرًا بليغًا على المحاضرين والناظرين كما سبق، وكانت الثانية في ندوة نُظمت في "الهلال الأخضر" بإزمير، وحظيت محاضراته "التقنيات والعلوم الطبيعية في ضوء القرآن" باهتمام واسع. وهاتان المحاضرتان كانتا استجابة لرغبة الناس لا لبرنامج معين. وفي هذه الفترة كان يلقي دروسًا في المقاهي. وهذا محرّم بك قد شهد مسامرات المقاهي الأولى وحذق ظروفها وغاياتها، يقول: "جاء الأستاذ فتح الله إلى كستانه بزاري في شهر ٧ / ١٩٦٦م، كان واعظًا ذا أسلوب لم نعهده في الوعاظ حتى اليوم، فهو ليس كغيره شكلاً ومضمونًا، فمثلاً عندما خرج ليعظ راقبنا صعوده على المنبر بشغف، ظننا أنه كما هي العادة سيرتدي تلك العجة السوداء جُبة الأستاذ يشار المعلقة على الجدار، ثم يرقى المنبر، لكنه طلع علينا بجُبتة البيضاء، فانفعل الناس عندما رأوه، وهبوا من مجلسهم، حتى إننا نسينا تشغيل المسجّل، فمن يومئذ أصبحنا نغدو إلى المسجد كلّ جمعة مبكرين لنستمع إليه.

عُني بالشباب، ومعظم رواد المقاهي منهم، كان رواد المسجد معدودين، فقال: إذا كان الشباب لا يأتون، فلنذهب نحن إليهم، فبدأ بمنطقتنا "مَرْسِيئلي"، فحجزنا المقهى لأوّل لقاء بشقّ الأنفس، ولا أحد يعلم أنه سيتحدّث، والمقهى مميّز، فهو مكتظ بالطلاب والشباب.



الأستاذ فتح الله في لقاء بأحد المقاهي في غازي أمير بمدينة إزمير عام ١٩٦٨م

كيف بدأ أول لقاء؟ بدأ الأستاذ فتح الله بالحديث، وكنا اقترحنا أن نقدّمه للناس، ونمهد للموضوع، فأبى وقال: ليكن تلقائياً؛ أتذكر أنه بادئ الأمر قال: "حديثي إليكم ليس هذا مكانه، لكن أسباباً عدّة منها الترهيب من المسجد باعدت بينكم وبينه فأتينا إليكم، فلما تعذّر على منبر المسجد أن يبلغ الحقيقة، جئنا إلى طاولة المقهى..."؛ فغمغم من أبوا أن تتحول الطاولة إلى منبر فيما بينهم، وأغرقوا في السب والشتم والتهم والتجريح، فلم يُعزهم الأستاذ بالألأ، ومضى في حديثه ساعة في جوّ حرج، ثم توافد الناس حتى ضاق بهم المقهى، فبات ليله يحدثهم نحو ثلاث ساعات ونصف".

في مطلع عام ١٩٧٥م نُظّمت سلسلة محاضرات توضّح لمن لا يأتون إلى المسجد رؤية الإسلام في مواضيع عدة شغلت الساحة، يقول الأستاذ فتح الله عن الهدف والنمط: "ضاق المقهى بالناس، ولما كان لقاء

حشد من الناس في مقهى يتطلب رخصة طبقاً لقانون التجمع والتظاهر، فتعالوا بنا ننظّم محاضرات في أماكن أكبر وحشود أكثر بالرخصة نفسها؛ فكانت المحاضرة التالية عن "نظرية التطور" في المعرض الدولي بإزمير، وفي القاعة خمسة آلاف مقعد، فإذا بالناس خارجها أكثر ممن في داخلها، فصار المعرض كمصلّى العيد، وصلى الناس المغرب على العشب، ومن حضروا كانت لهم مشارب شتى، فبعضهم يتساءل حائرًا: ماذا يمكن أن يقول واعظ في هذا الموضوع؟ وآخرون ساقهم حب الاطلاع.

"الجيل الذهبي" عنوان محاضرة وردَ على قلبي فجأة كنايةً عمن سيحملون على عاتقهم مسؤولية المستقبل، ثمة مسرحية بهذا الاسم مترجمة عن العربية تتحدث عن الرعيل الأول، لما عثرتُ عليها تأملت صفات هؤلاء الربانيين الذين هم روح تبعث فينا الحياة بعد الموت، فأجملتها في المحاضرة لتكون دعوة للجيل الذهبي".

كان موضوع نظرية التطور قد شغل الرأي العام التركي كثيرًا في الستينات والسبعينات، وساد اتجاه مادي لا يقبل الناس خلافه، كأنه هو الحقّ دون ما سواه، فتأثر كثيرون بهذا، وعانوا أزمة عقائدية، ولم يفند هذا المفهوم في ضوء مبادئ الإسلام والعلم الحديث رغم أنه يناقض حديث الإسلام عن نشأة الخلق، وادّعى بعض الناس أن الإسلام غلب أمام هذه النظرية؛ وفي بيئة كهذه جاءت محاضرات الأستاذ فتح الله مدويّة، وظّف فيها العلم الحديث، والعلوم الإسلاميّة، وكشف عن خبايا المسائل المستعصية؛ ولم يكن يعترض أو يوافق من يؤيد الاتجاه المادي بل يكفي بعرض ما في الإسلام من ثراء له فيه سعة اطلاع، ويوجب بكلّ ثقة على قضايا العصر إجابات مطمئنة مقنعة.

جذبت موضوعات مواعظه الأنظار، ففي حديثنا عن أيام إقامته بأدرنه ذكرنا أنه خالف المعتاد، واتخذ مما يواجهه المسلمون من مشكلات عصرية موضوعاً لمواعظه، دون أن يدخل في أمور سياسية. كانت أسئلة المسجد تأتي مكتوبة، جاءت مئة الأسئلة المتنوعة، وإذا تأملت أجوبتها في كتاب "أسئلة العصر المحيرة" تجد أنها قارب النجاة لكثير من العقلاء اليوم، ففيها ما له صلة بالطب والاقتصاد والأدب والحقوق، وهي مقنعة ومستمدة من العلم الحديث والتراث، وتدلل أن الإسلام عالج الموضوعات الإنسانية كافةً، وتوضح بأسلوب متميز لا حرج فيه أن الإسلام هو العلم.

كانت محاضرة "الجيل الذهبي" بمنزلة البيان العام، ففي مطلع القرن العشرين تنوعت تسمية العلماء للجيل المثالي، فسماه بديع الزمان "الجيل الجديد"، وسماه الشاعر الكبير محمد عاكف "جيل عاصم"<sup>٢٦</sup>، وأطلق عليه نجيب فاضل وسزائي قراقوج، ونور الدين طوبجوج وغيرهم أسماء عدة... أما الأستاذ فتح الله فاستلهم حديثه عن الجيل المثالي الذي ينشده من آراء هؤلاء خاصة بديع الزمان، فسماه "الجيل الذهبي".

استهل المحاضرة بقوله: "لا بد لأي جيل من الأجيال من صفات مكونة تجعله ذهيباً، وإلا لما استحق هذا الاسم"، إنها صفات ضرورية لجيل يستشعر المسؤولية تجاه العقيدة والفكر والحركة. ورسم في مقالاته بمجلة سينرتي، وكتاب "الموازين" و"العصر والجيل" صورة الجيل الذهبي جسداً وروحاً، وصورة حركة أطلق عليها فيما بعد "حركة المتطوعين".

كانت أول موعظة له في إسطنبول في ٢٦ أغسطس/ آب ١٩٧٧م بمسجد "بني جامع" في أمين أونو، تحدث عن التزام المسلم والصفات

التي عليه أن يتحلّى بها، وأنّ التغيير يبدأ من الفرد، وكانت الثانية في ٩ سبتمبر/أيلول ١٩٧٧م في مسجد "السلطان أحمد"، حضرها رئيس الوزراء آنذاك "سليمان دَمِيرَل" ووزير الخارجية "إحسان صبري".

في ٢٨ سبتمبر/أيلول ١٩٧٦م نُقِلَ من مَعْنِيسَا إلى مركز بُرُنُوا في إزمير، وعقد هناك جلسات "الأسئلة الأجوبة" السالفة الذكر، يقول عن رغبته في النقل: "طلبت إزمير، فُعِينت في بُرُنُوا، فهي من إزمير، وهذا خير، فَبُرُنُوا في الوعظ والمسامرات امتداد لمَعْنِيسَا، فاستمرت سلسلة الموضوعات؛ وعقدت ندوة للأسئلة كلّ أسبوع، وأتيحت الفرصة للحركة أكثر، فكانت الدعوات تأتيني من كل حذب وصوب، فأحاول أن أَلِيَّهَا".

لم يقف عند الوعظ والمحاضرات وحوار المقاهي بل رغب بالسفر خارج الوطن لتمتد يده للناس جميعاً، قال: "من أين الطريق لاستمرار هذه المحاضرات خارج الوطن"، اقتنع بضرورة ذلك خاصة بعد أن رأى ثمار المحاضرات، فأرسلته الأوقاف في سلخ عام ١٩٧٧م إلى ألمانيا، فحاضر وحاوّر في برلين، وفرانكفورت، هامبورك، وميونخ. وكان يتطلع إلى السفر لبلدان أوروبية أخرى لكن هذا لم يتحقق لعدم توفر الإمكانيات.

انطلقت مجلة سَبِيْرَتِي في فبراير/شباط ١٩٧٩م وعلى غلافها بيت

للشاعر محمد عاكف:

إن لم ترحم نفسك      فهلا أولادك رحمت

كان الأستاذ فتح الله يكتب المقال الرئيس؛ وفي مقاله الأول "لعلك تكفّ عن البكاء يا بني" أبان عمّا يستشعره من مسؤولية تجاه الإنسانية جمعاء، والمثّل والأمال التي يحملها لرفع المعاناة، يقول -وهو ينفث أحزان روحه للأمة-:

## لعلك تكفّ عن البكاء يا بنيّ

سلكنا هذا الدرب، لنشاطرك آلامك، ونُسكن همومك، ونَعْمُر قلبك، فلا تبتسّ منا! تأخرنا فلم نسعفك في حينه، لكن أيقن أننا نحمل بين جوانحنا دائماً أنين يعقوب -عليه السلام- وعشق زليخا وهجرانها.

كلما أبصرتُ قدك السويّ منقصما تمزق قلبي وانفطر؛ وكم انحنى ظهري واغرورقت عينايا أمام نظراتك الحزينة البائسة، أردت أن أقتبس من أغنيتك نغمة لكل صرخاتي، وأتحدث عن ملحمته، فأحرق أئينك وجداني، وهألني أمرك، وأصبحت مهموماً حزينا لما أصابك...

زد على ذلك أنني كنتُ أستحي أن أمد يد العون إليك، أو أن أقابلك بشفقة زائفة؛ إذ إنهم ضيعوك على مرأى مني ومسمع، وأذوك فال أمرك إلى هذا الحال. لقد رأيتُ ما حدث عندما أحمداوا جذوة عقلك، وشغلوك ببطنك عن قلبك، ومع ذلك لم أستطع أن أمدّ يدي المثقلة بالذنوب إليك... ورغم استغاثتك لم أستطع... قدرك قدر "فاؤست"، إذا فمن "مَفْسُتُو؟" من فعل بك كل هذا؟.

كنتُ في قرار مكين، ومستقر آمن، ورزق مقسوم، وكان كل شيء على ما يرام، ثم أتيت إلى هذا العالم الموحش، فما وجدت شيئاً ولا عرفت أحداً؛ لم يسمع أئينك وصراخك أحد سواك، وبكأنك ندمت ألف مرة على خروجك، لكنه قدرك المحتوم.

أما من يطوفون بك فمنتهى سعيهم ملء معدتك وتلبية رغباتها، فمن يومئذ وأنت تصرخ صراخاً يحرق القلوب، وهم يغفلون عنك بدءاً من ذلك الحين، وقد كنتُ جِبْهم ومبعث سرورهم في أيديهم وأحضانهم،

كنت وردة فريدة على الصدور، لكن شيئاً من ذلك لا يعود عليك بشيء،  
فكنت غريباً، وحيداً، بلا أنيس...!

فماضيك رجم حاضرك، وحاضرك رجم مستقبلك المبهم، فأنت في  
مفترق طرق يا بني!

اأذن لي أن أكون حاميك في هذا العناء، أعزف بريشتي من أجلك،  
وأسمع روحك أنيني. إنني أطلب الصفح منك باسم كل المجرمين  
ورأسي تحت قدميك. إننا خذلناك وأنت بين العاصفة والنار تستغيث،  
فاعف يا بني عمنا كانوا سبب وجودك في سبيل لذة عابرة، فأرووا بطنك  
وأظمؤوا قلبك، وشغلوك عن الخلود بفترة مؤقتة، وزودوا روحك بالسفاهة  
والوقاحة، وأوقعوك في خضم البؤس والتعاسة. فاعف عنا يا بني.

## فترة انقلاب ١٢ سبتمبر/أيلول ١٩٨٠م الحنين إلى الوعظ

دعا الأستاذ فتح الله الناس إلى الاعتدال والفتنة في الحوادث الاجتماعية والسياسية التي تسارعت وتيرتها في تلك الأيام، نبههم إلى أن المؤمن أس الأمن، فعليه أن يتجنب المشاركة في النزاعات الهدامة، وما يُرفع من شعارات لا نفع فيها للإسلام ولا للأمة بل هي ضرر محض؛ فهذه الحوادث مكيدة لنا دبرتها عدة قوى، فلا ينبغي أن نُقحم في لعبة كهذه؛ وفي مواعظه قبل انقلاب ١٩٨٠م بين للناس خصوصاً للشباب الخطر المحدق بهم، كانت آخر موعظة قبل الانقلاب بأسبوع في بُرْنُوا، والتقى بعدها ب"طرغوث أوزال" في غرفة إمام المسجد.

يحلّل الأحداث قائلاً: "إن الجو الذي ساد البلاد قبل ١٢ سبتمبر/أيلول ١٩٨٠م، كان ينذر بانقلاب، وكان هذا واضحاً للعيان، حتى إن من حدّقوا الأحداث أيقنوا بوقوع انقلاب، ولا حاجة في هذا لا إلى فراسة ولا إلى كرامة، فمن هنا كنت أشعر به كسائر الناس، وما تحدثت عنه مبني على هذا.

أعتقد أنه كثيره من الانقلابات، فالشباب في الشوارع مسلّحون، والشعارات تهتف لماركس ولينين، والحق والكره أعمى البصائر؛ وانتشرت سياسة التخريب، وأصيب المجتمع مجدداً بحالة روحية تعج سمة للدول المتخلفة كالتحريض على التدخل العسكري وفكرة "لنهدم أولاً ثم نخطّط". فالمنامخ الذي لا يُقبل فيه الرأي الآخر، ولا تتعايش

فيه الجماعات، يتيح الفرصة للتدخل، وتغدو فيه أنفه الخلافات مثارًا للنزاع؛ والنتيجة هي القضاء على الحرية والديمقراطية بتوتر مُصطنع بين يمين ويسار.

ومن المفيد هنا أن ننوه أن بعض المؤسسين لهذا الانقلاب قاموا بحراكٍ ملغومٍ إلا أن الله شاء أن يتسبب حراكهم في انتفاضة مجتمعية. وأبطلوا لُعبة بعض المخاطرين تجعل من تركيا سفيرًا للاتحاد السوفيتي، عندما أتى الاتحاد السوفيتي السطح المشرف على السقوط، وحالوا بعلمٍ أو بلا علم دون سقوطنا في هاوية سحيقة، وربما مهّدوا لأناس محترمين السبيلَ لخدمة الوطن".

لم تدعه شرطة إزمير وشأنه بل ضيّقت عليه، فقدّم طلبًا لتغيير محل عمله فعيّن واعظًا أول في "جَنَاقَ قَلعه" في ٢٥ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٨٠م، لكنه لم يتمكّن من العمل لمرض أصابه، حتى أعلنت حالة الطوارئ، ووقعت إجراءات تعسفية منعتة القيام بعمله، ثم صدرت فيه مذكرة اعتقال، فاستقال في ٢٠ مارس/آذار ١٩٨١م من إدارة الوعظ؛ لكنه استمرّ في الخدمة تحت نير إجراءات الاستبداد، ورغم الانتخابات الحرّة إلا أن الإجراءات التعسفية ما زالت مفروضة عليه؛ فطاف الأناضول، فتعرّف على أهلها عن كَثَب، ومهد لنشر الخدمة فيها، وزار أخلاط بلد أجداده، فاعتقل في مدينة "بُرْدُز" في ١٢ يناير/كانون الثاني ١٩٨٦م، وحققوا معه فترة طويلة، ثم رُحِلَ إلى إزمير، فلما لم يعثروا على ما يدينه أخلوا سبيله.

## إلى كرسيّ الوعظ من جديد

في ليلة الإسراء والمعراج الموافق ٦ إبريل/نيسان ١٩٨٦م افتتح مسجد "جامليجا" فألقى الأستاذ فتح الله أول موعظة بعد نحو ست سنوات من الانقطاع؛ أفصح فيها عن آلامه وأشواقه إلى الوعظ وإلى الجيل الجديد، فكان يحكي ويكي كما عهدناه في الوعظ.

سافر للحجّ في ٦ يونيه/حزيران ١٩٨٦م، وأثناء حجه صدرت مذكرة باعتقاله بناء على دعوى ضده، فأصر أصدقائه أن يجاور في المدينة المنورة، فأبى؛ أراد أن يثبت براءته، فلو هرب لكان ذلك إقرارًا بخطأ؛ لذا خاطر وتجشم الصعاب، فتسلل من سوريا إلى كليس فإزمير ولم يقبض عليه، وسلّم نفسه هناك إلى شرطة الطوارئ، فلما حققوا معه ثبتت براءته وأُخلي سبيله.

صدر أول عدد لمجلة "يني أميد (الأمل الجديد)" في يونيه ١٩٨٨، فبدأ يكتب المقال الرئيس للمجلة، فالمقال الأول عنوانه "في رحاب الجو المتواضع للأمل الجديد".

وفي ١٣ يناير/كانون الثاني ١٩٨٩م بدأ مواعظه في جامع "والدة سلطان" بأوسكدار في إسطنبول وموضوعها رسولنا الأكرم ﷺ، وجمعت في كتاب "النور الخالد محمد مفخرة الإنسانية"، واستمرت حتى ١٦ مارس/آذار ١٩٩٠م؛ ولهذا الكتاب مكانة خاصة بين كتب السيرة، فهو يعبر عن فقه الأستاذ فتح الله لحياة النبي ﷺ، بين فيه أن كل مرحلة من حياته ﷺ لها وجه يضيء لنا الطريق اليوم، وتمثل نموذجًا حيًا يأتي

به المسلمون، فهو ليس سردًا تاريخيًا معرفيًا، بل بحث حياته ﷺ كأنها كتاب، فأمعن في كل سطرٍ فيه وحلّله، ويجلّي الكتاب حبّه الجَمّ للرسول ﷺ، فكلّ جملة فيه تقطر حبًا وتوقيرًا، استهل الكتاب بهذه الكلمات: "إن تسليط الأضواء على شخصيته السامية ﷺ، وعرضها وبيانها، ثم تقديمها بوصفها منقذ البشرية، وإكسير المشكلات المستعصية على الحلّ والأمراض المزمنة، وإظهار هذه الشخصية السامقة وسيرتها بما هي أهل له؛ كل ذلك كان رغبة ملحة لديّ - كما هي عند كثيرين - وهاجسًا من هواجس فكري ومشاعري، وموضوعًا مهمًا لا سبيل للوقوف أمام سحره وجاذبيته أو الفكاك منه.

إنه ﷺ فخر الإنسانية جمعاء... فمنذ أربعة عشر قرنًا يقف وراء أكبر الفلاسفة وأعظم المفكرين وأشهر العباقرة وأذكى رجال العلم الذين زينوا سماء الفكر عندنا.. يقفون وراءه خاشعين قد عقدوا أيديهم أمامهم وهم يخاطبونه قائلين: "أنت الذي نفخر بانتسابنا إليك".

فلو عرفته البشر، لجنّوا عليه، وهاموا في حبّه، فإذا ذكر النبي ﷺ إذا بأعينهم تفيض من الدمع شوقًا، فيهرعون للدخول إلى حضرته الطاهرة وإلى عالم النبوة، وجوّه النقي، وترسلهم الريح إلى حضرته، لتبعث من رماد القلوب نار العشق الخادمة".

ويرسم "النور الخالد" معالم فكر الأستاذ فتح الله من خلال أسلوبه وفقهه لحياة نبينا ﷺ وتصويره لها، لا سيما أنه لا يكتثر بحركة أو فكرة لم تصدر عنه ﷺ.

لم يقتصر على خطبة الجمعة، بل كان يعظ كل أحد في مساجد السلিমانيّة، وبنديك، والسلطان أحمد، وباقر كويّ يني محلّه في إسطنبول،

وحصار وشادروان في إزمير؛ وفي رمضان كان يعظ بعد الإفطار حتى التراويح في مسجد الفاتح، واستمر يعظ تطوعاً حتى كانت آخر موعظة له في ١٦ يونيو/حزيران ١٩٩١م. وحضر عشرات الآلاف في الأناضول موعظه، وتحدث في موعظه الأخيرة عن النظام العالمي المحتمل بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، واقترح مد يد العون والمساعدة للمسلمين في آسيا الوسطى، صرّح -قبل انهيار الاتحاد السوفيتي- بأنه سينهار قريباً، لذا فلا بدّ من عمل شيء جديد، جاءت تطلعاته هذه بغتة، وتلك براعة في تحليل الأحداث الاجتماعية والسياسية العالمية، ثم إنّه ضرب في وعظه في المساجد بنصيب من معاناة تكشف عنها انهيار الاتحاد السوفيتي، ومن الآم من يرزحون تحت وطأة الاحتلال، كان يتألّم لأجلهم حتى لكأنه يكاد يخزّ من على كرسيه مغشياً عليه، فتتوسل العبرات إليه، علاوةً على أنّه يحض أبناء الأناضول على مساعدتهم وتبني أمر أحفادهم، فسرعان



زيارته للرئيس طرغوت أوزال بعد العملية في مستشفى هوستون بأمريكا في ١٩٩٢/٥/٥م

ما استجاب الناس لدعوته، وفتحوا مدارس تركية في العالم خاصّة في آسيا الوسطى.

وفي سنة ١٩٩٢م زار أمريكا وعاد فيها الرئيس التركي "طُرغوت أوزال" أثناء علاجه بعدما أُجريت له عملية جراحية.



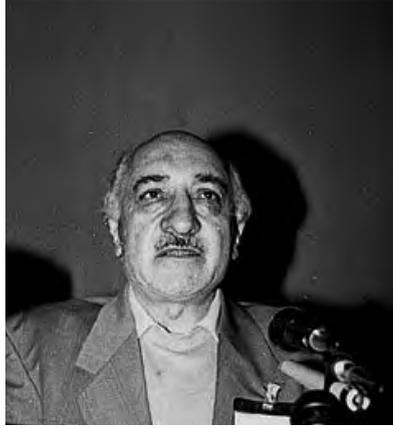
الأستاذ فتح الله عند ضريح أمّه في قارّش ياقا بإزمير وهو يدعو لها

وفي يوم الاثنين ٢٨ يونيو/حزيران ١٩٩٣م توفيت والدته السيدة رفيعة في إزمير، فأّمّ الناس في الصلاة عليها يوم الأربعاء بمسجد كلية الإلهيات، يقول: "هي سبب وجودي، وأوّل معلّمة ومرشدة في رحلتي التعليمية"؛ وعن منزلة الأمّ يقول: "الأمّ فوق كلّ الكائنات الفانية، تمشي ورأسها في السماء والجنة تحت قدميها، عزيزة عزّة تجعل من تراب حداثها كحلّاً لعيوننا، كريمة كرامهً تبلغ بالشفاه التي تُقبَل قدميها مقام الشفاه التي تسجد تحت العرش، أنينها لا ينقطع، تن ما عاشت وتتألم..."

## مرحلة الحوار مع مختلف الفئات

ابتداءً من عام ١٩٩٤م قابل الأستاذ فتح الله فئات كثيرة من الناس والإعلاميين، وشهد افتتاح وقف الصحفيين والكتّاب في ٢٩ يونيو/حزيران ١٩٩٤م رئيس شرف له، وعُني في كلمته بالحوار وقبول الآخر في المجتمع وفي العالم أجمع.

كان مصطلح "خوجة (الشيخ)" إذا أُطلق بين الناس تبادر إليهم الشيخ التقليدي، فلما ألقى الأستاذ فتح الله محاضراته رأوا فيها -فضلاً عن معرفته بالعلوم الإسلامية- سعة اطلاع على الثقافة التركية والعالمية، فانبهروا به لا سيما أولئك الذين لم يعرفوه عن كتب، وراح مئات



الأستاذ فتح الله أثناء كلمته  
في افتتاح وقف الصحفيين والكتّاب

المتقنين يشيدون به في مقالاتهم التي جُمع بعض منها في كتاب "الأستاذ فتح الله من الشَّرِيقَة إلى الفِراشة"، ويبرهنون أنه ليس كغيره، ويعبرون بدهشة واحترام عن أهمية شخصية كهذه للأوساط العامة التركية والعالمية.

وفي ٣٠ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٩٤م كان لمقابلته مع رئيس وزراء تركيا "طَنسو تَشَلَز" صدى كبير في الصحف.

في يناير/كانون الثاني ١٩٩٥م أجرت معه جريدتاً "الصباح" و"الحرية" حوارات عن قضايا الساعة، وطبيعة فكره، وفي ٢٠ مارس/آذار التقى "بُولُنْدُ أَجْوَيْتْ"<sup>٢٧</sup>، ولم يكن لقاءً سياسياً بل بحث معه موضوعات أدبية وصوفية وفلسفية.

قال أَجْوَيْتْ ردّاً على طلب الزيارة: "أهلاً به، سأقابله عندما آتي إزمير". أما الأستاذ فتح الله فقال: "تقديري لكبار رجالات الدولة يقتضي أن آتيك لا أن تأتي إلي".

قال أَجْوَيْتْ معبّراً عن سعادته بالزيارة: "أرى أن الأستاذ فتح الله وأتباعه يسهمون كثيراً في عملية التطور الديمقراطي".

والتقى في مايو/حزيران وتاليه كلاً من حَكَمَتِ جَتِين، وَطَنْسُو تَشِلَرُ، ومسعود يِلْمَار.

وقال عن انتقادات لقاءاته في مؤتمر صحفي عقد في ٢٢ يونيو/حزيران ١٩٩٥م: "من الصعب التوفيق بين استهجان اللقاءات التي أقوم بها وبين سمات المنتقدين ومقاماتهم ومستواهم".

وفي ٢٦ مايو/أيار ١٩٩٥م منحه وقف الجمعيات التركية جائزة "نهال آتْسَز لخدمة الأمة التركية" مكافأة على المدارس التي افتتحها في الدول التركية.

ظهرت براءته من كلّ التهم، وفي ٣٠ يونيو/حزيران ١٩٩٥م حصل على تعويض معنوي، قدره خمسون مليون ليرة تركية من صحفي، لما تبين كذب ما كتبه من أسفار باطلّة عنه؛ وتبرع الأستاذ فتح الله بالمبلغ

---

٢٧ مصطفى بُولُنْدُ أَجْوَيْتْ (١٩٢٥-٢٠٠٦م): سياسي وشاعر وكاتب تركي بارز؛ تولى رئاسة الوزراء خمس مرات، وكان من رُوّاد اليساريين في تركيا.

لوقف "مَحْمَدُجِك"<sup>٢٨</sup>، فمنحه الوقف في ٢٥ يوليو/تموز شهادة تقدير؛ وفي هذا العام أجرى معه الإعلامي رَخاء مختار حوارًا في قناة TRT<sup>٢٩</sup>، وكذا أورال جَالِيْشَلَر بجريدة الجمهورية واستمر حوارهم سبعة أيام، وأيوب جان بجريدة الزمان واستمرَّ حوارهم خمسة عشر يومًا، وطبع في كتاب "جولة الآفاق مع فتح الله كولن".

كان حديثه ينم عن شخصية لها باع في شتى العلوم؛ وقد تركت ردوده القائمة على العلم من فن، وأدب، وعلم اجتماع، وعلم نفس، وفلسفة، وسياسة، كثيرًا من المثقفين الأتراك في دهشة وحيرة، واتفقوا أنَّ ماهيتها فريدة في بابها.

وفي هذا العام زار جريدة المِليَّة والتقى كُتَّابها ورؤساءها، وأجرى معه التلفاز الهولندي حوارًا.

وفي عام ١٩٩٦م أجرت معه وسائل إعلام متنوعة حوارات، ومنها تلفاز فَرْنَا البلغاري، وجريدة ترود، والتقى في هذا العام بالطريق بارثولوميوس لتفعيل لغة الحوار بين طوائف مختلفة.

ولما وقعت حادثة صُوضُرْلُق<sup>٣٠</sup> في نوفمبر/تشرين الثاني من هذا العام استغل بعض الناس الحدث لإدراج اسم الأستاذ فتح الله في القائمة السوداء، ليعيقوا سير أنشطة الخدمة التي أسهم فيها، فأدلى بتصريحات لوسائل الإعلام، وأثبت أنها تُهم مُلَفِّقة، جاءت في فترة حرجة يستهدف أناس منها إقحامه في مشكلات البلاد السياسية، فكذَّب هذه الدعاوى مرارًا وقاضاها فأثبت التحقيق براءته.

٢٨ وقف مَحْمَدُجِك: أُسس لمساعدة الجنود المحاربين وأقارب الشهداء ومصابي الحرب في الجيش التركي.

٢٩ الاسم العام لقنوات الإذاعة والتلفاز الرسمية للجمهورية التركية.

٣٠ اكتشاف علاقات غير شرعية بين الشرطة وعصابات المافيا وبعض العشاير إثر حادث مروري وقع في مقاطعة

صُوضُرْلُق غرب تركيا بتاريخ ٣ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٩٦م.

ساعت صحته كثيراً إبان الأحداث، وزادها سوءاً وفاة صديقه الوفيّ الحاج كمال أريّمز<sup>٣١</sup> في ١٣ مارس/آذار ١٩٩٧م، فأّمّ الناس في الصلاة عليه وهو يبكي. يقول الأستاذ فتح الله عن الحاج كمال: "كان الحاج كمال ثرياً، له كروم ومنجم ألماس يغني سبعة أجيال، ذكرت له يوماً أمراً لا أدري كان صواباً أم لا: "ينبغي أن لا يكون لدينا ولو منزل يؤوينا، تعال لنعيش دون أن يكون لنا ولو كوخ، وليكن هذا شهادة بأننا إنما نبتغي وجه الله عز وجل بهذه الأعمال لا منافع دنيوية". فباع ملكه كله حتى منزله وتصدّق على المدارس والطلبة". فهذا فدائي معطاء، لم يترك لورثته شيئاً، وعاش في منزل كراء وفي غريفة بمسكن الطلبة".

وما زال يتحدّث عن أشواقه للحاج كمال وعيناه تدمعان، ويراه في منامه كثيراً، حب وتقدير لصديق صدوق، ووفاء ليد العون في كلّ ما قدّم لهذه الأمة من خدمة.



مراسم جنازة الحاج كمال أريّمز

في ١١ يونيو/حزيران سافر إلى أمريكا للعلاج، فأجريت له عملية قسطرة للقلب بعد أسبوعين، وزادت الأزمات مرضه، ففي رؤيته للنزاع السياسيّ يؤكّد أن أمن المجتمع وسلامته أولاً، وكلّ ما يحول دون هذا ويُعيق النهضة يغدو كانوناً للجحيم، تأزمت الأحداث فاستقالت الحكومة

٣١ الحاج كمال أريّمز (١٩٢٦-١٩٩٧م): من أوائل رجال الأعمال الذين ناصروا الأستاذ فتح الله كولن عندما بدأ مشروع "الخدمة"، لازمه حتى توفّي، ووقف حياته وماله على هذا المشروع.

في يونيه/ حزيران، فعلق على هذه الأحداث في وسائل الإعلام، وأشار إلى أن تركيا في طريقها لحلّ مشكلاتها مع الساسة والشعب، والتخلص من حركات عملت على تأخرها وتقسيمها وقتل ما تتحلى به من تسامح؛ فأسهم بحكمته في تهدئة المجتمع يوم أن كانت الخلافات السياسية متأججة، فاسترعى أسلوبه الانتباه؛ فثمة من استغل الفوضى، ونثر سهام حقه وعدائه المكنون للأستاذ فتح الله، ورغم هذا لم يكن له همّ إلا مصلحة الوطن، فميزانه في الحياة "التضحية بكل شيء في سبيل الآخرين".

وواصل حوارهِ مع طبقات متفاوتة في العالم لا في تركيا فحسب، فقابل في سبتمبر/أيلول كاردينال أوكونور بأمريكا، أي إنّه يعي ويهتم بمشكلات يتوقّع أن يعاني منها العالم لاحقاً.

أول حوار في أمريكا كان عام ١٩٩٧م مع الصحيفة التركية نَوَال سَوْنَدِي، نُشر هذا الحوار في جريدة بِنِي يُوزُيِل بين ٢٠-٢٩ يوليو/تموز، ثم جُمع في كتاب "حوار نيويورك مع فتح الله كولن"؛ ناقش الكتاب مشكلات تركية عصرية، وموضوعات مهمة عامّة لها صدى في الرأي العام، تدور حول الاتحاد الأوروبي، وأمريكا، والعالم الإسلامي.

ومن الأحداث المهمة في هذا العام دعوة مؤسسة من أعظم المؤسسات شأنًا في روسيا "اتحاد الكتاب الروس"<sup>٣٢</sup> للأستاذ فتح الله؛ وأهمية الدعوة في رأي تيمور بولاتوف رئيس المؤسسة "نحن على دراية بالمشكلات المعاصرة في روسيا وتركيا؛ لذا فزيارة كولن ستفيدنا جدًّا بلا ريب".

وفي ٣٠ سبتمبر/أيلول ١٩٩٧م عاد من أمريكا، فمُنحته مؤسسة Türk Eğitim Sen جائزة التعليم الخاص في عيد المعلم.

وفي عام ١٩٩٨م أجرت معه الصحافة المحلية والأجنبية عدة حوارات، والتقى ممثلي الأديان الأخرى تعبيراً عن السماحة وقبول الآخر. وشارك في عدّة برامج وقابل فئات شتى لتطوير الحوار بين الأديان، ففي هذا العام زار البابا جان بول الثاني، وكان لزيارته صدى كبير في العالم عامّة وفي تركيا خاصّة، وأجرت معه وسائل الإعلام الروسية



أثناء زيارة بابا الفاتيكان في ٩/٢/١٩٩٨م

والأوروبية خاصة الإيطالية حوارات في هذا الشأن، وهنا كان للإعلام التركيّ الهادف سلوك حميد، بينما ذهب آخرون كلّ مذهب في التهم الباطلة أثناء تفسيرهم للحدث، فبيّن الأستاذ فتح الله في برنامج على التلفاز أنّه ينسّق للقاءاته مع المسؤولين، وأنه قد استشار رئيس الوزراء بولند أجويّت قبل لقاء البابا فوافقه في ذلك وأيده وأشار إلى أنّها ستسهم في السلام العالمي.



أثناء زيارة بابا الفاتيكان في ٩/٢/١٩٩٨م

وُمنِحَ عدة جوائز من مؤسسات المجتمع المدني على ريادته في أنشطة مجتمعية عدة؛ وفي هذا العام ادّعى على ما أثارته مقالاتٌ وكتب من زوبعة تُهمّ حوله، إلا أنها لم يتوقف نشرها.

واستمر نشاطه في اجتماعات تدعم السلام الاجتماعي والحوار بين الأديان والحضارات حتى عام ١٩٩٩م، ثم سافر في ٢١ مارس/آذار إلى أمريكا للعلاج.

## أمريكا:

### عنوان الغربة الحزينة

في ١٨ يونيو/حزيران ١٩٩٩م بدأت وسائل الإعلام وأولها قناة ATV بنشر تسجيلات ملفقة عنه منتزعة من حوارات لا تشوبها شائبة، لتؤلّب المجتمع عليه، فباءت بالفشل، وبيّن للناس أنها تستهدف التشكيك في نزاهة أنشطته؛ ورفعوا دعاوى عليه بناءً عليها، فثبتت براءته؛ وغابت في زوبعة هذه العاصفة قيم الإعلام في الديمقراطية وحقوق الإنسان التي طالما كان يتغنّى بها. وعلى هذا فالدعاوى ضده حتى اليوم انحصرت في اثنتين، حكمت محكمة الطوارئ عليه في إحداها بالسجن، وفي ٣ أغسطس/آب بعد نحو سنة من "عاصفة يونيو/حزيران" اقترحت النيابة العامة في أنقرة DGM اعتقاله، وفي ٧ أغسطس/آب رُفض هذا الطلب لانعدام التُّهم المنسوبة إليه، فتعنت وكيل النيابة وأصدر حكمًا باعتقاله في ١١ أغسطس/آب، فاعترض المحامون، فألغي القرار بعد نحو أسبوعين. وفي هذا العام مُنح جائزة الخدمة الرفيعة لـ "اتحاد كتّاب تركيا".

وفي ١٦ أكتوبر/تشرين الأول رُفعت عليه دعوى استمرت حتى عامي ٢٠٠٢-٢٠٠٣م، وبينما كان يفنّد التهم، كان يبدل وسعه لتحقيق السلام العالمي، ويقاوم المرض لا سيما أن جسده يتأثر كثيرًا بما ألمّ به، وفي ٣١ مارس/آذار ٢٠٠٢م قضى ثلاثة أيام في المستشفى إثر إصابته بأزمة قلبية. أجرت معه نورية أقمان حوارًا مطوّلًا في عام ٢٠٠٤م نشرته جريدة الزمان بدءًا من ٢٢ مارس/آذار، ثم طبع في كتاب، وأجرى محمد كوندّم



أثناء العلاج بأمريكا في ٢٠٠٢/٤/١ م إثر أزمة قلبية

حوارًا مثله في نهاية العام، نشر في جريدة المِليّة خلال اثنين وعشرين يومًا منذ ٨ يناير/كانون الأول ٢٠٠٥ م، ثم طُبِع في كتاب.

وبقي في أمريكا منذ عام ١٩٩٩ م، أمّا شغفه وشوقه لتركيا الحبيبة فيُظهِرهما حديثه ومقالاته وحواراته الصحفية وشعره "الغربة الحزينة".

بلغ حبه لتركيا أنه احتفظ بملابس أتى بها معه دون أن يغسلها؛ سأله أحد الضيوف: "هذه الملابس كنت ترتديها وأنت قادم من تركيا، أليس كذلك؟!" فرد الأستاذ فتح الله: "بلى، أحتفظ بها منذ



أثناء استراحتة في المستشفى بأمريكا بعد العملية في ٢٠٠٤/١/٢٥ م

مجيئي، ولم أغسلها قطّ، بل لم أنفض ترابها بعد، فتركيا معي رَوْحًا



ورُوحًا ورائحة". يواسي نفسه بتراب أحضر من أنحاء تركيا كافة.

فحجرته في أمريكا هي بيت أسراره وشاهد على آلامه ومكابداته، يموت حسرةً عند حدوث أي فاجعة في العالم، فيتردد بين حجرات الممر والرّدهة المقابلة لحجرته لعلّه يعثر على خليل لقلبه الكليم.

لم يكن يأذن في مجلسه بحديث لا ينفع في دين ولا دنيا، لسانه لا يزال رطبًا بذكر الله وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، فكلامه لا يخلو من الحديث عن الله ورسوله.



الأستاذ فتح الله ويده تراب أحضر من أنحاء تركيا

أهلّ رمضان، فأشار أطباء الغدد الصمّ والسكري عليه بالإفطار، وكان يُعنى بالعبادة أيّما عناية، فقال: "أنصح من حاله كحالي بترك الصيام، بل أفتيه بذلك، أمّا أنا فلا أستطيع"،

وتابع صومه؛ وكان الصوم في المرض يُقَعده عن الحركة.

لأن تستكشف حياته يقتضيك أن تعرف خصائصه، وإليك شيئاً منها من معلومات وتفسيرات عامّة استخلصها السيد "علي أونال":

- هو وأمثاله من الدعاة يستمدّون تجليات أسماء الله تعالى ويعكسونها إلى الناس أفضل من غيرهم؛ فأسماء الله تتجلّى تجلياً متفاوتاً في كلّ عالم من العوالم، وفي هذه الدنيا يتفاوت تجليها في كلّ مجال على حدة... الاجتماعي، والعلمي، والديني؛ فيمكن الإمعان في هذه الأسماء بوصفها مرآة للحقيقة ذاتها بلون ونغمة وشكل يتنوع بتنوع الناظر... فكل الحوادث والكائنات ومنها الإنسان إن هي إلا مظهر لتجلي أسماء الله الحسنی...

\_ ملكاته العقلية والروحية والبدنية جلية جدّاً، فهو نشيط فطرةً لا يخمل، عزيز، شجاع مقدام، منظمّ منتظم، مرهف الحس، مفعم بمشاعر جياشة، وصول للرحم، رحيم بالموجودات كلها، يقول: "لو رأيت ورقة سقطت من شجرة في الخريف لتألّمتُ ألمي لو فُصل ذراعي عن جسدي"، حتى إنه يقضي نصف ساعة في إخراج نملة سقطت في أرض الحمام، ويألم لبكاء رضيع وهو يصلي مستغرقاً في صلواته مع الله عز وجل؛ وعندما اجتمع حرمانه في الصغر وحبّه وشفقته ورحمته وصلته بأقاربه، وهجرته، وما لقيه والده المحترم الطريف من جفاء الأقران، وحوادث وفاة بليغة الأثر على طفولته بدءاً بأخويه وانتهاءً بجديّه وأبويه، حفر ذلك آلاماً في أعماقه زادت جراح المسلمين ومصائب الإنسانية ألماً؛ ورغم أنّ اختلال توازن هذه المؤثرات على الإنسان يأتي عليه فينهار، نجد عناية الله -عز وجل- تتدارك الأستاذ فتح الله فتتسع لها شخصيته، والفضل في ذلك لنشأته.

- كانت يد القدر قد جذبته نحو العلوم الشرعية و تزكية النفس، فضلاً عن العلوم التجريبية والأدبية، والإنسانية... فنمت ملكاته الفطرية التي وضعها الخالق لتوائم العصر، عكف على طلب العلم ففضجت معرفته بالعلوم الحديثة من فيزياء وكيمياء، وأحياء وفلك، وتعرف على أمهات مصادر فلاسفة الشرق والغرب لا سيما الوجوديين أمثال كامو، وسارتر، وماركوس، فجعلت منه هذه المقومات رجلَ فكر وحركةٍ اشتهر بـ"خُوجة أفندي" في الأوساط العامّة وخاصّةً بين معارفه، امتاز بحبّه للناس وسعة معرفته، فهو غزير العلم، حكيم، منفعل لكن ببصيرة وفِراسة يزن بها الأمور، عفيف، رقيق، كريم، متسامح، تقيّ، ورع، عطوف، رحيم، حلیم، يحب كل ما حوله من إنسان وحيوان وجماد؛ شجاع، متفائل، مثاليّ، منظم، متواضع هكذا نشأ، وتربّي، فتواضعه من خصائصه البارزة في شخصيته؛ سيرته كصورته بعيدة كلّ البعد عن التطلع للدنيا من زعامة وريادة ونحوهما؛ زهده في الدنيا وما يتعلق بها يتبلور في مصطلحات "التضحية" و"نسيان النفس" و"تصغير النفس" الذي يستخدمها دائماً. يقول: "لو استبدلتُ بالدنيا أخرى كأنها الجنة، فاعتزلت تحت ظلّ شجرة، ودع عنك ما فعلته من أجل الإنسانية وقل في نفسك: "لست أنا من فعل هذه الأشياء، بل إنها وُجدت بعون الله ثم بهمة المخلصين؛" لم يكن ليأذن بتقبيّل يده، يقول "لا أرى أنّ نفسي جديرة بأي نوع من احترام أبداً، فلا غاية لي سوى خدمة الناس بإخلاص"، فلم يكن يسعد بالتقديس والإفراط، بل يأمل أن يكون بين الناس فرداً من الناس، فكان يكره التكلّف، والتصنّع، والمماسحة أي المزايدة، والتشدّق في الكلام، يسعده السلوك السوي الرفيع الحكيم، ويسعده أكثر أن يغدو ذلك سجيّة، ورغم ذلك لا يُغضبه

سلوك فحّ فيه مَسحة من إخلاص، يكره أن يُنسب النجاح إليه أو أن يرفعه الناس أكثر من أنه عبد لله، يعرف الفضل لأهله من العلماء السابقين، أكثر ما يُثلج صدره أن يُعامل بوصفه "واحدًا من الناس"، يقول أحيانًا: "لو جاز تغيير القَسِمات بعمليات التجميل لفعلت لثلاثًا أُعْرَفَ؛" يرى أنه "الأدنى في التشريف، والأعلى في التكليف"، وأنه "الثرى، وغيره الثريًا"، بل يرى أن نسبة الخدمة التي يحث عليها إلى شخصه "سوءُ أدب مع الله عز وجل، وبخسٌ لكثيرين بذلوا الكثير للخدمة، وخيانة للأمانة؛" لا يرضى استغلال الدين أو الدولة في أيّ منفعة شخصية، بل يحض على ضرورة طلب رضا الله في ذلك لا متاع دنيوي ولا مقام، يقول: "لا تتطلع إلى جزاء على هذه الخدمات ولو أن تتشوف إلى الجنة أو الولاية، ولا تقل: لعل عملي هذا يرفعني إلى رتبة عبد القادر الجيلاني؛" وكم كان يتألم ويتأفف ويتخذ موقفًا أحيانًا لو استشعر في نفسه أو فيمن حوله طمعًا في منزلة أو صيت ولو يسيرًا؛ لذا كان يتناسى عن عمد السنن الحسنة التي سنّها، ويكأنّه لم يفعلها هو! ويفعل مثل ذلك بل يمحو من ذاكرته ما يصيبه من إيذاء وضرر وجفاء كما تُمسح ذاكرة الحاسوب، ولا يتفوه بكلمة في أحد، يقول: "أودّ أن أرحل إلى الآخرة وليس في قلبي غلّ لأحد، لا سيما المؤمنين".

- يستثمر شخصيته وحسّه المرهف في تبادل الأفكار والمشاعر لتقويم الأخطاء، ويُقدّر الموقف السديد مهما صغُر.

- بلغ به حيائه أنه لا يتحدث غالبًا إذا لم يُسأل، ولعلّ ذلك لأنّه يرى أن لا حاجة للحديث إلى من لا يعنيه ما يقول، فهو إذا أجاب أو تحدث، أو وعظ يكره أن يذهب أحد بكلامه مذهب التفاخر أو التجارة بالعلم، يوجّه ويوضح إجابته فيجذب السامع، وعلى قدر وضوح السؤال يستفيد

السائل من الجواب، فيحل مشكلاتهم ويفعل كلامه فعله في حياتهم الروحية، لذا قد يجيب بشيء والسؤال في شيء آخر، إذ إنه يستهدف إفادة المخاطب ما استطاع، ويستطرد مرارًا في الإجابة ليرسل للمخاطب رسائل تنفعه، أو ليكون في جوابه تذكيرة وحل لمشكلة أخرى.

- يصوّب الأخطاء ويقوّم الأفعال بكلام عامّ مثل "ما بال أقوام؟" كما كان النبي ﷺ يفعل، فينال كلّ حظه من هذه التذكيرة، لا يواجه أحدًا بخطئه إلا إذا عرف منه أنه يقبل المواجهة، أو أنّه لا يتأذى بأسلوبه اللطيف، فيجعل من هؤلاء "سُبُورَة"، ينصحهم كأنهم قد أخطؤوا، وهو يعني بكلامه آخرين، عسى أن يعتبر من يعنيه الأمر... فهو يلجأ إلى التعريض والكناية والتورية، فيكون للكلمة الواحدة أكثر من معنى؛ فمن لم يألف أسلوبه أو سمعه أول مرة ربما يظن أنه يثني على فرد بينما هو ينبهه، والعكس بالعكس.

- أحياناً يذكر نكتة طريفة تتصل بالموضوع بأدب واحترام، يقول قرينه وصديقه العريق السيد أردوغان تُوْزُون: "قضيت معه ستة أشهر قبل ٣٠ عامًا في كوخ خشبي صغير بمكتب تعليم القرآن الكريم في كُستّانه بَزاري بإزمير، فأعطاني فراشه وكان ينام عند الباب، كنا شبّبة إلا أنّه لم يبدر منه سلوك فحّ قَطّ".

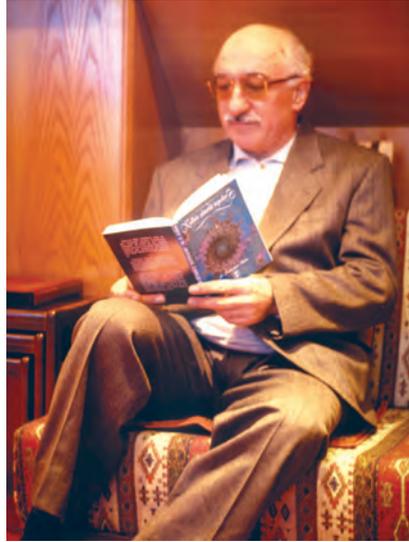
يُصغي إلى محدّثه بصدقٍ وحُسنِ طويّة؛ إن سمع كلمة أو حركة طريفة ابتسم وربما أثنى على صاحبها، وإن ضاق بمتكلّم يتكلّف، أو يرائي، أو يبغى الظهور أو المنفعة، قَطّب جبينه.

- وفي لأصدقائه ومتاعه وما له صلة به ولمسكنٍ نزله ولو يوماً، يقول: "لو استروحت مع أصدقائي تحت شجرة في سفرة، ثم مررنا بها

معًا بعد سنوات، فلم يتذكرها أحد منهم حزنًا وأسفتًا، لهذا يرفض تغيير زينة منزله، بل يبقيه كما كان، وله أسلوبه الفذ في تطيب نفس من كُسِرِ خاطره لأي سبب.

- كريم جواد، لا يدخر سوى ثوبين، ويوجد بما فضل عن حاجته من قمصان وجوارب ومعاطف، يقول: "تربيت في بيت كرم وبلدة معطاء، لم أرَ بخيلًا قط، ولست بالذي يدخر، لا أفهم أبدًا من ترتعد فرائصهم إذا قيل لهم أنفقوا، فالكرم صفة نبيلة قد تدخل العبد الجنة وإن كان فاسقًا، فإن كنت من طلاب الجنة فاسلك سبيلها".

ويعطي عطاءً جمًّا إذا رأى من شخص ما يرضيه مادياً أو معنوياً أو رأى ما يعجبه من إنجاز متقن خالص لخدمة دين الله عز وجل؛ وكنت أرى لكل هدية معنى خاصًا، يُهدى فيهدى، ويقابل الهدية بأخرى، وهكذا يفعل في المرسله إليه رغم كثرتها.



- مثقف نهم، يقرأ يوميًا ١٥٠-٢٠٠ صفحة، بدأ طفولته بقراءة السيرة النبوية ومناقب الصحابة الكرام، ثم عكف على الكتب العلمية والفكرية والفلسفية؛ اطلع على ثقافة الشرق، وقسمات ثقافة الغرب، وكان قائده في الخدمة العسكرية، قد أوصاه بذلك؛ قرأ لرواد الثقافة الغربية أمثال شكسبير (Shakspeare)،

وبالزواج (Balzac)، وفولتير (Voltaire)، وروسو (Rousseau)، وكانت (Kant)، وزولا (Zola)، وجوته (Goethe)، وكامو (Camus)، وسارتر (Sartre)؛ وقرأ لرواد الثقافة الشرقية أمثال مولانا جلال الدين الرومي، وسعدي، وحافظ، والملا جامي، والفردوسي، والأنوري؛ وقرأ للأدباء أمثال برنارد روسل (Bernard Russel)، وبوشكين (Pushkin)، وتولستوي (Tolstoy)، وغيرهم؛ فتراه في حوارهِ أو في كتاباته يشير إلى أشياء مردها إلى منطق باكون (Bacon)، وروسل (Russel)، والنظرية الجدلية من باسكال (Pascal) حتى هيجل (Hegel)؛ وقرأ في الأدب التركي لعمالقة الأدب الكلاسيكي أمثال فضولي، وباقي، ونفعي، والشيخ غالب، وليلى هانم، ولعظماء الكتاب والشعراء أمثال نامق كمال، وشناسي، وتوفيق فكرت، ويحيى كمال، ونجيب فاضل، ومحمد عاكف، وسزائي قراقوج؛ ولكن لعنايته بالعلوم الإسلامية لأنها الأصل؛ قصر أحاديثه عليها، فتحدث في تفسير القرآن، وبلاغته، وأسراره، وحلّل الأحاديث النبوية، والحياة الإسلامية.

إنه لم يترك التدريس في حياته إلا إذا اضطر، لكنه من تواضعه لا يسميه تدريسًا، ولا يقول "إني أدرّس"، بل يقول: "نطالع الكتب مع الأصدقاء". "طالع" هو وطلابه -الذين لا يسميهم "طلابي" بل يسميهم "أصدقائي" - كثيرًا من أهم كتب التفسير، والحديث، والفقه وأصوله، والتصوف، والبلاغة، والمنطق، والصرف والنحو إلى غير ذلك من كتب العلوم الشرعية، فمثلاً طالعوا في شهر رمضان عشر مجلدات من "كنز العمال" للمتقي الهندي من أصل ستة عشر مجلدًا، وفيه أكثر من ٤٦,٠٠٠ حديثًا، وأكملوا ما بقي بعد شهر رمضان.

- ذؤاقة أنيق، حسن المظهر؛ كل ما يرتديه يكون لائقاً عليه، لم يكن وهو طالب يلبس بنظاًلاً دون كيّ، فإن لم يجد مكواة، وضعه تحت فراشه ونام عليه، لا يرى علاقة بين ترك الأناقة والورع، لا ترى في وجهه ما تعافه العين، مشيته متميزة، يمشي شامخ الرأس، واسع الخُطأ؛ كان قبل مرض القلب يصعد الدَرَج مثنى وثلاث، يقول: لم أكن أتحمّل صعوده درجة درجة قبل أن يشتد بي المرض، فهو مفعم بالحوية والنشاط خاصة عند حلّ المشكلات.

- يكفيه قليل الطعام، ولما ألزمه طبيب السكر بتناول وجبة أخرى، لم يكن يأكل سوى لقيمات، كان يتناول أصنافاً من الأدوية منذ شبابه كما ذكّر هو ومعارفه، دعا في شبابه فقال: "اللهم خذ مني وأنزل بي ما يشغل جسدي عن حَمَى الشهوات في ريعان الشباب"، وحذّره عالم فاضل من هذا الدعاء، لكن كأنه رأى دواءه في دائه؛ وربما لم يبق مرض إلا زاره فترة ثم رحل ليأتي غيره؛ ففاسى في شبابه قرابة خمسة عشر عامًا من أمراض منهكة في جسده كله حتى وجهه ويديه ورجليه؛ وأصيب في الجيش بتضخم في الكبد أفرزه مرض الصفراء، وأصيب بعسر الهضم الذي عانى منه طويلاً، ثم أصيبت قدمه اليمنى بالآلام مبرّحة لا تحتمل، يقول: "لم أكن أطيق الوقوف على قدمي، ولا الجلوس أيضاً، فإذا توضأت ساعدني أصدقائي، وفي إزمير جاؤوني بطبيب عظام جِلف ضقتُ به، كان يفحصني بقسوة حتى إنه ألمني وضايقني، وقال: حالتك تستدعي عملية ضرورية، فقلت: "سيغنيني الله عنك، وإذا مرضت فهو يشفين"؛ فغضب وخرج؛ وذهبوا بي ذات مرّة إلى المستشفى، فلما فحصني الأطباء سمعتهم يتهامون: "لا بد من قطع إحدى قدميه"، أخذتني رعشة، ثم

فعلتُ مثل فعل أبيقثاتوس<sup>٣٣</sup> أي حدّثت نفسي قائلاً: "ما زلتَ تنعم يا فتح الله لقدمين حتى هذا اليوم، أي ربّ سأعبدك بعدئذ على قدم واحدة، فلك الحمد على كل حال!"؛ ولما عدتُ من المستشفى بدأتُ أمسح مواضع الألم بزيت الزيتون، وأصلي عند المسح على رسول الله ﷺ، مع الالتزام بالوصفة الطيبة، فشفاني الله عز وجل".

واشتدّ به مرض السكر إثر انقلاب ١٢ سبتمبر/أيلول، وكذا القلب، ثم تضاعف المرض، فتورمت مفاصل أصابع يديه خاصةً اليمنى، فقاسى من استعمال يديه؛ إذ لم يكن يستطيع أن ينشر ويضمّ أصابعه جيّداً.

وكان يتصبّب عرقاً في مرضه المزمن إذا ما فعل شيئاً ما كأن يصليّ رُكيعات ويرتب سريره، فإن أصيب بالزُّكام زاد الطين بلةً، فكان يغيّر ملابسه مراراً في الليل، ولا يستطيع أن ينام نصف ساعة من ساعتين ينامهما عادةً، وبينما يغرق أعلاه بالعرق، يرتعد ما سواه من البرد؛ يقول: "لم تدفأ قدمي قطّ رغم الغطاء والجورب والمدفأة".

- كان يخدم نفسه بنفسه، في الطهي والنظافة والضيافة، ولو في أيام مرضه، ومهارته في الطهي نتاج مساعدته لأمه، وعزلته وهو مدرس يافع في كستانه بزاري بأزمير، يقول: كنت أصنع من البطاطس عشرة أنواع.

- لا ينام من الليل إلا قليلاً خاصةً أيام عزلته، تشغله عن النوم غايته التي نذر لها حياته، وهموم الأمة والملة، ومشكلات بعض الناس، وتجاوزات حدود الشرع، وأمراضه المزمنة، فتحمله وصبره على هذا كله محيّرٌ للغاية. " (انتهى كلام السيد علي أونال)



يعلّم الطباخ صنع حلوى من الحلويات الخاصة ببلدته أرضروم

تحلى منذ طفولته بخصائص تميزه، أعلاها الأخلاق الرفيعة، والذكاء الحادّ، وقوة الذاكرة، والشجاعة، والوفاء، والقلب المفعم بالحبّ؛ شديد المحاسبة لنفسه، فلو حدثت مشكلة في العالم عدّ هذا من ذنوبه؛ واسع الصدر، شغله الشاغل هموم الناس، يقول: "إذا شيك أحد بشوكة كان عليّ أن أقاسمه الألم؛ فلو مرّ بشجرة فاستروح عندها سيمرّ بها في طريق عودته وفاءً لها، لا يلقي ورقة خطّ فيها قلمه وفاءً لها، يقول في الوفاء: "هو وردة بستان الصداقة"؛ لا يقطّب أبداً في وجه أحد ولو غدر به مراراً. شخصيته الفعّالة وحياته القائمة على الكتاب والسنة جعلت منه غريباً في عصره، فيودّ لو أن هموم الإنسانية جمعا على عاتقه.

هذه صور من حياة الأستاذ محمد فتح الله كولن، صور تكشف عن ريادة شخصيته في هذا العصر، ولأنّ تفقّه أسرار رسالته أولى لك من معرفة سيرته. والآن نقدم لكم ما كتبه الأستاذ الدكتور "إبراهيم البيومي غانم" بشكل إجمالي عن حياته الفكرية والنشاطية:

"فتح الله كولن أحد أشهر علماء الإسلام المصلحين ودعاته المعاصرين على مستوى العالم. احتلَّ المرتبة الأولى في قائمة أهم مائة عالم في الاستطلاع الذي أجرته سنة ٢٠٠٨ مجلة "فورين بوليسي" -وهي مجلة أكاديمية أمريكية ذائعة الصيت- ومجلة "بروسبيكت" البريطانية المشهورة. وقد أنشأت له عدة جامعات في الولايات المتحدة، وإندونيسيا، وأستراليا، أقسامًا خاصة باسمه (كرسي أكاديمي)، ومراكز علمية متخصصة، وانقعدت مؤتمرات وندوات دولية عديدة في جامعات عالمية لدراسة أطروحته ونظرياته الدعوية والفلسفية والإصلاحية والتربوية.

بدأ الأستاذ فتح الله كولن نشاطه الدعوي والتربوي في عدة مدن بغرب تركيا بداية الستينيات من القرن الماضي، وواظب على أداء رسالته بصبر وجدية منذ ذلك الحين إلى اليوم. حفظ القرآن الكريم وتعلَّم العربية والفارسية على يد والده "رامز أفندي" في سنِّ مبكرة، وتلقى عن علماء المنطقة التي نشأ فيها علوم الفقه والتفسير والحديث والنحو والبلاغة والأصول ومقارنة الأديان. وقرأ في مختلف مجالات العلم والمعرفة فيما بعد، ودرس أعلام الفكر الإسلامي المعاصر، وأمعن في قراءة مُنطَري الإصلاح في القرون الأخيرة، وتابع التيارات الإصلاحية التي ظهرت في شتى البلدان الإسلامية، واستوعب النظريات الغربية الفلسفية والاجتماعية والعلمية والسياسية والأدبية الحديثة.

أدرك فتح الله كولن في وقت مبكر أن المجتمع التركي، ومجتمعات العالم الإسلامي عامة تعاني من ثلاث علل كبرى هي: الجهل، والفقر،

والتفرق. فنذر نفسه للدعوة إلى العلم والعمل لتفعيل مشروع تربوي متكامل، وحثّ الأثرياء على التضامن الاجتماعي ومساعدة الفقراء والاستثمار في مجالي التربية والتعليم، واتخاذِ التواصل والحوار البناء سبيلاً لحل الخلافات المستشرية، وتأسيس ثقافة التعايش، ونشر السلام على كل المستويات المحلية والإقليمية والعالمية؛ وقد انتشرت أفكاره وأحلامه في كل الطبقات الاجتماعية، وكثر محبّوه في مختلف أنحاء العالم. وقد أكد دوماً أن مكنم المشكلة هو الإنسان، وما لم نُعد صياغة الإنسان صياغةً صالحةً فلن يتأتى لنا حل مشكلاتنا المستعصية، ومن ثم سعى طيلة حياته على أن يُخرج نموذج الإنسان المسلم المثالي المتمسك بجذوره الروحية، المنفتح على ثقافات العالم ومتطلبات العصر، الموفق بين العقل والقلب والسلوك، الواقف نفسه لخدمة الإنسانية كسباً لمرضاة الله تعالى، إيماناً منه بأن هذه هي رسالة الإسلام الحقيقية والسبيل التي سار عليها كافة الأنبياء ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. لذا تميزت كافة المشاريع التي حث على إنجازها ببعدها الإنساني الشامل حيث حرصت على خدمة الإنسان من حيث هو إنسان، دون تمييز بين عرق أو لغة أو دين أو ثقافة.

ومن ثم فإلى جانب أعمال الإغاثة الإنسانية للمتكوبين وضحايا الحروب، فقد غطت خدمات مؤسسات محبّيه القارات كلها، ولا سيما في مجال التربية والتعليم، حيث تميزت المدارس بالجودة العالية والتناغم بين معطيات العلوم والقيم الأخلاقية، مما جعلها تتبوأ المراتب الأولى وتحقق النجاح الباهر أينما فتحت في العالم، ويتنافس عليها النخبة والعامّة ليسجلوا فيها أبناءهم.

فهناك المؤسسات التعليمية (حوالي أكثر من ١٠٠٠ مدرسة خاصة، وعدد من الجامعات، ومئات المدن الجامعية، وبيوت الطلبة)، وهناك المؤسسات الإعلامية (صحف . ومجلات . ومحطات إذاعية . وفضائيات تبث بعدة لغات، وهي قنوات: ثقافية . إخبارية . اجتماعية . للأطفال)، إلى جانب مؤسسات العلاج والمشافي الصحيّة، وعدد من أكبر دور النشر في تركيا وخارجها، وجمعيات ومنتديات لرجال الأعمال والتجار. وهناك عشرات المواقع الإلكترونية على شبكة الإنترنت، تبثّ بـ ٢٢ لغة، وتشر مقالاته ومؤلفاته وأخباره (ar.fgulen.com)، (tr.fgulen.com)

وفي خطبه ومواعظه كان يخاطب عقول الناس وقلوبهم، ويذكرهم بالماضي المجيد، والحاضر البئيس، ويرسم لهم صور المستقبل المشرق، ويبعث فيهم الأمل، ويغرس في قلوبهم الإيمان بالله، ويحبّب إليهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام، ويحثّهم على التأسّي به ﷺ وصحابته الأجلّاء، ويدعوهم إلى التّفاني والإيثار والعمل المجتمعي التربوي الحكيم بجديّة وإخلاص وتفان وإتقان، ويلهب فيهم أنفاس العاطفة الرشيدة، ويستحثّ فيهم روح العمل والإنجاز لكي يقدموا -كمسلمين- إضافات نوعية لأمتهم والحضارة الإنسانية كافة. كل ذلك وسط دموع ساخنة يذرفها في كافة دروسه ومواعظه، فيبكي ويُبكي... فكان الواعظُ البكّاء، وكان محبوبه من البكّائين كذلك، وكان البكاء ماء الحياة الذي يجري سلسبيلا في كافة الأعمال والخدمات.

لقد جاب فتح الله كولن كافة أراضي تركيا، متنقلا بين مدنها وقراها، والتقى الناس على كافة المستويات، ولم يفتأ يتحدث عن هموم الأمة والإنسانية، ويطرح لها حلولاً، وينشر ثقافة إنتاج الحلّ بدلا من النقد

والتشكي، ويحث أصحاب الحمية والهمة على الاضطلاع بمسئولياتهم الضخمة التي تنتظرهم، ويدعو إلى العمل الإيجابي دون كلل أو ملل، والإيمان العميق الرباني، والخدمة الهادئة الحكيمة، ونشُدانِ معية رب العباد من خلال التواجد الفعال وسط العباد، والحركية الدؤوبة في كل مجالات الحياة، والصبر والمصابرة على بناء مشاريع طويلة النَّفس، وتجنّب استنفاد الطاقات في نقاش وصراع وصدام لا طائل من ورائه، والسعي الحثيث لامتلاك القلوب دون تمييز، والحرص على زرع الإيمان في النفوس ليفعل الإيمان فعله الإصلاحى الإنشائى العميق. وقد أكد دائماً أن مسؤولية المسلم مسؤولية كونية، وأن صلاح العالم بصلاح الفرد، وأن التغيير يبدأ من الإنسان، وأنتك إذا نجحت في تغيير الإنسان فقد غيرت الدنيا كلها، وإذا استطعت أن تصنع الإنسان فقد صنعت الحياة والحضارة برمتها وحققت العمران.

فانطلاقاً من هذا الإطار الفكرى والعملى، ألقى الأستاذ فتح الله كولن آلاف المحاضرات العلمية والدينية والاجتماعية والفلسفية والفكرية في المنتديات العامة، وعقد آلاف من اللقاءات وحلقات الدرس الخاصة التي أجاب فيها على الأسئلة الحائرة التي كانت تجول في أذهان الناس، وتؤرق الشباب خاصة، ولا يعرفون لها أي جواب؛ وكانت حيرتهم تلقي بهم في مهالك الشبهة والإلحاد؛ ومنها الأسئلة المتعلقة بنظرية داروين، وحقيقة الروح، والقضاء والقدر... إلخ. وكانت أجوبته على مثل هذه الأسئلة بلسماً شافياً لعقول الشباب وقلوبهم وجمهور الناس، مما جعلهم يحبونه ويلتفون حوله ويطلبون إرشاداته؛ فكان يستثمر هذه المحبة وذلك الإقبال في حث أصحاب الحمية على إنشاء مؤسسات تربوية تعليمية... إذ كان

يرى أن السبيل الأوحـد والأنجـع لصنـاعة إنساننا من جديد، وإصلاح مجتمعاتنا، وتأهيلها للقيام بدورها التاريخي المنشود على مستوى العالم، إنما يمر عبر تكثيف الجهود في مجال التربية والتعليم، أي مجال صناعة الرجال؛ وإذا استطعنا أن نكون نماذجنا البشرية والمؤسسية الحية على أرض الواقع لتراها العيون وتعايشها الأرواح، فسوف تنبعث الثقة في النفوس، والاطمئنان في القلوب، والراحة في العقول. وكان يقول باكيا: "إن العالم في أمس الحاجة إلى الإسلام اليوم، والإسلام في أمس الحاجة إلى من يمثله بحق"، مضيفا "الأذان شبعت، والعيون جائعة" في إشارة إلى أن الوقت وقت العمل. كل هذه الأفكار، والعمل الدؤوب المخلص، جعل الأستاذ فتح الله كولن يفوز بقلوب كثيرين من أبناء تركيا، ويحتل مكانة الثقة لدى المجتمع التركي بكافة طبقاته.

لقد أتاحت للأستاذ فتح الله كولن ثقافته الواسعة، وتبحره في علوم الدين وعلوم العصر، أن يخاطب مختلف الشرائح الاجتماعية في تركيا، بما في ذلك المثقفون وأصحاب التيارات الفكرية الحداثية والليبرالية والقومية؛ وقد استجاب كثيرون منهم لندائه، ودخلوا في حوارات ومراجعات من أجل تصويب آرائهم وتصحيح مساراتهم السابقة. وفي هذا المضمار حثّ في بداية التسعينيات على إنشاء مؤسسة عالمية لغرض التحوار والتفاهم والاحترام المتبادل بين أصحاب تلك التيارات والأفكار المتباينة، لتقريب وجهات النظر، وتجنب البلاد شر التفرق والعنف والفتنة؛ فتحقق هذا المشروع بالفعل، وانبثقت عنه منتديات للحوار البيئي والعالمي، وانعقدت مؤتمرات عالمية مهمة، مما شكل منعطفًا تاريخيًا في تأسيس السلام والتعايش بين الأطياف المتناقضة، في زمن عملت فيه

بعض الأوساط على تفتيت المجتمع التركي استغلالاً للخلافات الفكرية والطائفية والثقافية والدينية.

اهتم الأستاذ فتح الله كولن بفكرة الحوار والتواصل والتفاهم بين التيارات الفكرية المختلفة على المستوى المحلي داخل تركيا، وعلى المستوى الإقليمي والدولي بين أتباع الديانات وأبناء الحضارات والثقافات المتعددة، ودعا إلى نهج التعارف والاحترام المتبادل والتسامح والتعايش، ونبذ التعصب وإدانة العنف. وعُرف في تركيا وفي العالم بـ"داعية الحوار والتسامح والتوافق"، ولقيت دعوته هذه صدى إيجابياً واسعاً في تركيا وخارجها، ووصلت إلى ذروتها في الاجتماع الذي تم عقده في الفاتيكان مع البابا.

يرى فتح الله كولن أن العالم أصبح -بعد تقدم وسائل الاتصالات- قرية صغيرة؛ ولهذا فإن أي حركة قائمة على الخصومة والعداء لن تؤدي إلى أي نتيجة إيجابية، وأنه يجب الانفتاح على الإنسانية بأسرها، وإبلاغ العالم كله بأن الإسلام دين الرحمة، ويدعو إلى الأخوة بين بني البشر، وأن المسلم لا يمكن أن يكون إرهابياً وأن الإرهابي لا يمكن أن يكون مسلماً. وقد ذكر مرارا وتكرارا أن هناك مجالات واسعة للتعاون والتعاقد بين المسلمين وبين أبناء الأديان والثقافات الأخرى لتأسيس سلام واستقرار على مستوى العالم.

للأستاذ فتح الله كولن أكثر من خمسة وستين كتاباً تناول فيها القضايا الكبرى في الفكر الإسلامي ومشكلات العصر. بعض كتبه مترجم من التركية إلى أكثر من خمسين لغة أخرى منها: العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية والإسبانية وغيرها من اللغات الحية؛ وله آلاف

الخطب والمحاضرات والمواعظ المسجلة، إضافة إلى مئات المقالات المنشورة في المجلات والصحف داخل تركيا وخارجها، وله ديوان شعر بعنوان "ريشة العزف المكسورة".

## قائمة مؤلفات الأستاذ فتح الله كولن<sup>٣٤</sup>

العنوان باللغة التركية	العنوان مترجماً إلى العربية (لا يعني أن الكتاب ترجم)	ملاحظات (الأجزاء، الترجمة...)
Sonsuz Nur İnsanlığın İftihar Tablosu	سلسلة النور الخالد... محمد... مفخرة الإنسانية	(سبعة أجزاء، في سيرة النبي ﷺ) مترجم إلى العربية
	الجزء الأول: النبي المرتقب	
	الجزء الثاني: من صفات الأنبياء	
	الجزء الثالث: عظمة الفطنة	
	الجزء الرابع: فن التربية وحل المعضلات	
	الجزء الخامس: الرسول ﷺ قائداً	
	الجزء السادس: العصمة النبوية	
	الجزء السابع: السنة النبوية	
Çağ ve Nesil Serisi	سلسلة العصر والجيل	(جمهرة مقالات الأستاذ الافتتاحية في مجلة سيزنتي من العام ١٩٧٩ حتى اليوم) تسعة أجزاء
1-Çağ ve Nesil	الجزء الأول: العصر والجيل	
2-Buhranlar Anaforunda İnsan	الجزء الثاني: الإنسان في دوامة الأزمات	
3-Yitirilmiş Cennete Doğru	الجزء الثالث: نحو الجنة المفقودة	
4-Zamanın Altın Dilimi	الجزء الرابع: شريحة الزمن الذهبية	
5-Günler Baharı Soluklarken	الجزء الخامس: أيام تتنفس أنساماً ربيعياً	
6-Yeşeren Düşünceler	الجزء السادس: أفكار في طور الاخضرار	
7-Işığın Göründüğü Ufuk	الجزء السابع: أفق يلوح منه النور	
8-Örnekleri Kendin Bir Hrkt	الجزء الثامن: حركة نماذجها من ذاتها	

<sup>٣٤</sup> العناوين التي ترجمت إلى اللغة العربية، نُبّهت إليها القائمة في الخانة الثالثة، بعبارة "مترجم إلى العربية"؛ وغيرها لم يترجم إلى العربية.

	الجزء التاسع: ديوي الصمت	9-Sükutun Çıgılkları
(جمهرة مقالات الأستاذ الافتتاحية لمجلة بني أميد) مترجم إلى العربية جزءان	سلسلة ونحن نقيم صرح الروح	<b>Ruhumuzun Heykelini Dikerken Serisi</b>
	الجزء الأول: ونحن نقيم صرح الروح	1-Ruhumuzun Heykelini Dikerken
	الجزء الثاني: ونحن نبني حضارتنا	2-Kendi Dünyamıza Doğru
(جمهرة مقالات الأستاذ حول تركيبة الأنفس) أربعة أجزاء،	سلسلة التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح	<b>Kalbin Zümrüt Tepeleri Serisi</b>
مترجم إلى العربية	الجزء الأول: التلال الزمردية	
	الجزء الثاني: التلال الزمردية	
	الجزء الثالث: التلال الزمردية	
	الجزء الرابع: التلال الزمردية	
(نخبة مختارة من مجموعة من التساؤلات التي وجهت إلى الأستاذ في المساجد) مفرغ من الأشرطة، أربعة أجزاء	سلسلة أسئلة العصر المحيرة	<b>Asrın Getirdiği Tereddütler serisi</b>
مترجم إلى العربية	الجزء الأول: أسئلة العصر المحيرة	1-A G Tereddütler-1
	الجزء الثاني: أسئلة العصر المحيرة	2-A G Tereddütler-2
	الجزء الثالث: أسئلة العصر المحيرة	3-A G Tereddütler-3
	الجزء الرابع: أسئلة العصر المحيرة	4-A G Tereddütler-4
(دروس الأستاذ المسائية) مفرغة من الأشرطة، ثمانية أجزاء	سلسلة المنشور الضوئي	<b>Prizma Serisi</b>
	الجزء الأول: المنشور الضوئي	1-Prizma-1
	الجزء الثاني: المنشور الضوئي	2-Prizma-2
	الجزء الثالث: المنشور الضوئي	3-Prizma-3
	الجزء الرابع: المنشور الضوئي	4-Prizma-4
	الجزء الخامس: مناخنا نحن	5-Kendi İklimimizi
	الجزء السادس: ملاحظات على الدرب	6-Yol Mülahazaları
	الجزء السابع: بيدر الفكر	7-Zihin Harmanı

	الجزء الثامن: في تهجي خط سيرنا	8-Çizgimizi Hecelerken
(دروس الأستاذ المسائية) مفرغة من الأشرطة، خمسة أجزاء	سلسلة الفصول	Fasıldan Fasıla Serisi
	الجزء الأول: الفصول	1-Fasıldan Fasıla-1
	الجزء الثاني: الفصول	2-Fasıldan Fasıla-2
	الجزء الثالث: الفصول	3-Fasıldan Fasıla-3
	الجزء الرابع: الفصول	4-Fasıldan Fasıla-4
	الجزء الخامس: أطلس الفكر	5-Fikir Atlası
(دروس الأستاذ المسائية في الولايات المتحدة الأمريكية) مفرغة من الأشرطة، عشرة أجزاء	سلسلة الجزة المشروخة	Kırık Testi Serisi
	الجزء الأول: الجزة المشروخة	1-Kırık Testi
	الجزء الثاني: صحة الحبيب	2-Sohbet-i Canan
	الجزء الثالث: آفاق الغربية	3-Gurbet Ufukları
	الجزء الرابع: فنار الأمل	4-Ümit Burcu
	الجزء الخامس: غيث الأصيل	5-İkinci Yağmurlar
	الجزء السادس: نداء البعث	6-Diriliş Çağırısı
	الجزء السابع: إكسير الخلود	7-Ölümsüzlük İksiri
	الجزء الثامن: بشرى الوصال	8-Vuslat Muştusu
	الجزء التاسع: بوصلة القلب	9-Kalb İbresi
	الجزء العاشر: في ارتقاب الجمرة	10-Cemre Beklentisi
	الجزء الحادي عشر: رسالة الإحياء	11-Yaşatma İdeali
	الجزء الثاني عشر: السعي إلى تجديد النفس	12-Yenilenme Cehdi
(خلاصة جهود الأستاذ في تعليم العربية لطلاب) صدرت في منتصف السيبعينات، خمسة أجزاء	سلسلة تعليم العربية بطريقة حديثة	Tekellüm Arapça Dil Öğretim Seti
	الجزء الأول: تعليم العربية بطريقة حديثة	
	الجزء الثاني: تعليم العربية بطريقة حديثة	
	الجزء الثالث: تعليم العربية بطريقة حديثة	

	الجزء الرابع: تعليم العربية بطريقة حديثة	
	الجزء الخامس: تعليم العربية بطريقة حديثة	
(مجموعة الأورد والأدعية، النص الأصلي باللغة العربية)	القلوب الضارعة	el-Kulubu'd-Dâria (Yakaran Gönüller)
(مجموعة الأدعية المأثورة المنتخبة من كتب الصحاح)	مجموعة الأدعية المأثورة	Dua Mecmuası
(مترجم إلى العربية)	طرق الإرشاد في الفكر والحياة	İrşad Ekseni
(مترجم إلى العربية)	القدر في ضوء الكتاب والسنة	Kader
(مترجم إلى العربية)	روح الجهاد وحقيقته في الإسلام	Cihad
(نظرة بيانية تحليلية في بعض النصوص القرآنية) (مترجم إلى العربية)	أضواء قرآنية في سماء الوجدان	Kur'an'dan İdrake Yansıyanlar
(حكم ربانية مستقاة من الكتاب والسنة، وممزوجة بخلاصة التجارب) (مترجم إلى العربية)	الموازن أو أضواء على الطريق	Ölçü veya Yoldaki Işıklar
(مترجم إلى العربية)	حقيقة الخلق ونظرية التطور	Yaratılış Gerçeği ve Evrim
(جمهرة مقالات الأستاذ الافتتاحية في مجلة يغمور (الغيب) الأدبية)	البيان	Beyan
	تأملات حول سورة الفاتحة	Fatiha Üzerine Mülâhazalar
	في ظلال الإيمان	İnançın Gölgesinde
(ديوان شعري جمع فيه جملة ما كتبه الأستاذ من قصائد وأشعار)	ريشة العزف المكسورة	Kırık Mızrap
	الحياة بعد الموت	Ölüm Ötesi Hayat
	البُعد الميتافيزيقي للوجود	Varlığın Metafizik Boyutu
(كتاب في تربية الأولاد في الإسلام)	من النواة إلى الشجرة	Çekirdekten Çınara

(تأملات لتجليات أسماء الله وصفاته في مظاهر الكون والوجود) مترجم إلى العربية	ألوان وظلال في مرايا الوجدان	Renkler Kuşağı
	في عالم القرآن الذهبي	Kur'an'ın Altın İklîminde
(نظرة أفاقية في البعد الإقتصادي في الإسلام وحله لجميع مشاكلنا الآنية)	عالمنا الفسيح	Enginliğiyle Bizim Dünyamız
	حزم وقبسات	Huzmeler ve İktibaslar
	مقابلات صحفية	Röportajlar
	دنياي الصغيرة	1-Küçük Dünyam
	جولة في الآفاق	2-Ufuk Turu – Eyüp Can
	مع فتح الله كولن في ديار الغربية	3-Gurbette F G - Nuriye Akman
	التسامح العالمي وحوار نيويورك مع الأستاذ فتح الله كولن	4-Global Hoşgörü ve Newyork Sohbeti – Nevval Sevindi
	أحد عشر يوماً مع فتح الله كولن	5-F. Gülen'le 11 Gün –M. Gündem

## قالوا عنه

"تجولتُ اليوم في ثانوية طَشَقَنْد التركية في أوزبكستان، وأعجبتُ بها غاية الإعجاب، فلا يسعني إلا أن أقدم جزيل الشكر لكل من ساهم وحقق هذه الأمنية، إذ ستقوم هذه المؤسسات بتنشئة جيل يربط ربطاً وثيقاً بين البلدين، أوزبكستان وتركيا. ليرضَ الله عنهم جميعاً".  
طُورغوت أوزال (رئيس الجمهورية الراحل/تركيا)

"إننا نمتلئ ثقة واعتزازاً بالمدارس التركمانية التركية التي يُمارَس فيها التدريس وفق الأسس العالمية للتعليم. وإن تعلّم الطلاب اللغات التركمانية والتركية والإنكليزية والروسية بأفضل وجه، بجانب تعلمهم العلوم الحديثة بأنواعها المختلفة، يحوز أهمية جليّة لمستقبل بلادنا. وستُكتب خدماتكم الجليلة التي تقدمونها في تاريخ أمتنا التركمانية المستقلة ونهضتها بحروف لا تُمحى. أقول لكم من صميم قلبي: ليرضَ الله عنكم".

سَابَار مُرَاد تُرْكَمان باشي (رئيس الدولة الراحل/تركمنستان)

"الأمر الذي لا ريب فيه هو ضرورة التجديد، بحثاً عن الإجابة على أسئلة من قبيل "من نحن؟ ومن الآخر؟ وكيف نحاوره ونصمد أمامه؟" ولعل الباحث في حركة الأستاذ فتح الله كولن التركية، يجد المفتاح الضائع لهذه القضية المغلقة التي قد ضلَّ مفتاحها".

أ.د. أحمد الطيب (شيخ الأزهر/مصر)

"لأن العقل -في حضارتنا الإسلامية- هو نور أودعه الله في القلب... ولأن العلامة الأستاذ فتح الله كولن هو ثمرة طيبة من ثمرات هذه الحضارة، فلقد جمع بين حكمة العقل وبصيرة القلب..."

ولأن القرآن الكريم هو الذي صاغ منهاجه في الفكر والحياة، فلقد صار كلمة طيبة، أصلها ثابت، وفروعها ممتدة، تؤتي أكلها كل حين بإذن الله.

ولأن الوحي القرآني قد قرن دائماً بين الإيمان والعمل، فإن كلمات هذا العالم الرباني قد تجسدت -به وبإخوانه الكرام- أبنية شاهقة، وحياة خصبة، تزدهر بها كثير من بقاع هذا الكوكب الذي نعيش فيه".

أ.د. محمد عمارة (المفكر والكاتب الإسلامي/مصر)

"ما يحدث عادة هو أن الفكرة تتحول إلى شخص، وعندما يُضرب الشخصُ تسقط الفكرة وينتهي الأمر. على عكس ذلك، ما حدث عند الأستاذ فتح الله كولن هو أن الشخص تحول إلى فكرة.. فحركة.. فواقع.. فحركة مؤسسية في مختلف نواحي الحياة تقدم تصورا صحيحا للإسلام بجوانبه المتعددة العملية، وليس التجريدية".

د. عبد الحميد مذكور (كلية دار العلوم، جامعة القاهرة/مصر)

"تعرفت على فكر الشيخ فتح الله كولن من خلال إنجازات المؤسسات التي تجسده واقعا ملموسا، ومن رجالات يحملون هذا الفكر إلى الإنسانية في داخل وخارج تركيا. إنه الشيخ الفقيه والمفكر والعالم والمصلح الذي اجتمعت حوله قلوب وعقول أجيال من الأتراك المتعطشين لتجديد دنياهم بتجديد دينهم، فكانوا جميعا، الشيخ وتلاميذه،

تیاراً متدفقاً یخدم الإسلام والمسلمین والعالمین فی إطار جدید یمتد من الوطن ترکیا إلى الأمة الإسلامیة والعالم، ویجمع العلم والإیمان، الفکر والحركة، العقل والوجدان، الروح والمادة. لقد تمحور فکرة الشیخ وجهود الخدمة حول "بناء الإنسان"، وهو محور کل إصلاح ابتداءً من الدینی مروراً بالتربوی والمجتمعی ووصولاً إلى السیاسی".

أ.د. نادیة مصطفی (کلیة الاقتصاد والعلوم السیاسیة، جامعة القاهرة/مصر)

"الشیخ محمد فتح الله کولن اجتمعت لديه مؤهلات الداعیة الناجح، وملکات المجتهد المجدد، ومهارات القائد المحبوب. له عقل الإمام محمد عبده، وفروسیة الإمام سعید النورسی، وحرکیة الإمام حسن البنا، وعاطفة سید قطب... أخذ منهم وأضاف إلیهم وهو هو "محمد فتح الله البسام". تلامذته باسمون وهم یعملون دوماً، ولكنه لا یکاد یتسم إلا نادراً، وجل أحادیثه وخطبه ومواعظه مبللة بالدموع. عیناه اللتان أجهدهما طول السهر والبكاء تمثلاً کثیر من العطف والإشفاق علی ما آلت إلیه أحوال إنسان الأمة الإسلامیة، وإنسان العصر الحدیث عامة".

أ.د. إبراهیم البیومی غانم (المركز القومي للبحوث الاجتماعیة - القاهرة/مصر)

"أعتقد أن کلمة السر فی نجاح حركة الأستاذ کولن لیس فقط فی تبئها لقیم الإخلاص والتضحیة... إلخ، فهي فی غایة الأهمیة، ولكن أعتقد أنها أيضاً فی فکرة الموازنة بین کثیر من الثنائیات التي تحکم حیاتنا المعاصرة فی العالم العربی بشكل خاص والعالم الإسلامی بشكل عام، بین العلمی والدینی، بین العلمانی والدینی، بین الشرقی والغربی، بین القلب والعقل، بین الوجدانی والمنطقی.. فکرة التوازن ما بین هذه

الثنائيات مع إعلاء قيمة العمل، أعتقد هذا هو مفتاح السر في تجربة كولن، وفكرة أن الحركية ربما تكون هي الدافعة للفكر، وأظن هذه نقطة تميز هذه الحركة بشكل أو بآخر".

د. باكينام الشرفاوي (كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة/مصر)

"يعيش الأستاذ فتح الله الآن في أمريكا، لكنه يعيش في تركيا في الوقت ذاته، روحه موجودة في تركيا. هناك أتباع وتلاميذ اقتبسوا هذه الروح العالية عن "فتح الله كولن".. مستشفيات، مدارس، مساجد، مناشط... شيء مُذهل. كلّه يعود الفضل فيه بعد الله إلى هذه الروح التي بثّها هذا الرجل: "فتح الله كولن.. هو صاحب سلوك إيماني، وتصوف صافٍ، بعيداً عن الغلو والانحراف. صاحب فقه واهتمام بالفقه، صاحب عناية بالحديث.. وهو أيضاً أديب وشاعر ومثقف وفيلسوف ومفكر وواعظ.. كان يحضر درسه الآلاف، ومع ذلك أوقف هذه الدروس بكل هدوء، واستمر في مثل هذا العمل الهادئ العظيم المؤثر.. فوجدنا تلاميذه، ووجدنا بصماته، ووجدنا قدرته على التأثير؛ ولذلك هو أبو "الإسلام الاجتماعي" في تركيا، أبو "الإسلام الوعظي". الحرص هنا على الروح الإسلامية الواعية القوية، وفي الوقت ذاته الحرص على العلم المدني الحديث. نحن أمام تجربة فريدة لا توجد في العالم العربي، ربما ولا حتى -أظن- في أكثر بلاد العالم.. مجموعة من الشركات المؤسسات؛ مؤسسات إعلامية، اقتصادية، تعليمية، تربوية، مساجد، مناشط، مدارس، آلاف المدارس داخل تركيا وخارجها. وهذا، الحقيقة في جو كجو تركيا شيء عجيب..."

د. سلمان العودة (المشرف العام على مؤسسة الإسلام اليوم/السعودية)

"الأستاذ كولن يريد أن يربط الأمة بفكرة مركزية هي فكرة "الخدمة الإيمانية"، أي أن يتحرك كل إنسان في الفضاء الذي هو فيه من أجل الخدمة الإيمانية. وإذا أردت أن تُحصُول فكرة الرجل لقلت ففتح الله كولن يساوي الخدمة الإيمانية. فضلا عن ذلك الأستاذ كولن يقر بأن الخدمة الإيمانية طريق عمومي، لذلك هو يشجع كل من سلك هذا المسلك، لأنه مسلك عام، ولا يريد أن يكون بديلا عن أحد، ولا بديلا لأحد".

أ.د. عمار جيدل (جامعة الجزائر/الجزائر)

"في ظني أن "فتح الله كولن" يمثل الخبرة الدينية الاجتماعية لتركيا، بكل ما تعنيه من عناصر عالمية تصلح لشعوب وأقطار إسلامية أخرى، وما تعنيه من خبرة ذاتية تاريخية وثقافية للشعب التركي، ولاستمرارية انتمائه الإسلامي الأصيل. وإن استيعاب "فتح الله كولن" لما يراه مناسبا من الفكر الغربي في إطار الهيمنة الثقافية الإسلامية ومسلماتها العقيدية، إن ذلك يمثل قدرا معتبرا من الإثراء لهذه الثقافة. وإن من أهم التطبيقات التي تتفرع عن هذا الاستيعاب هي دعوته لتوحيد التعليم الديني والمدني وإشاعة الثقافة الإسلامية في ثنايا التعليم الوضعي الشائع الآن. وهذه دعوة صالحة للأخذ بها والاستفادة منها في مجالات التعليم الحديث في بلادنا المتعددة ومجتمعاتنا الإسلامية المتنوعة. وما أحوجنا للاستجابة لهذه الدعوة..."

طارق البشري (المستشا/مصر)

"في فترة معينة من الزمن تحتاج فيها الإنسانية إلى قادة روحيين، وجدنا مثل هذه القيادة في فتح الله كولن... وفي عالم يتحدث فيه أغلب

القادة المسلمين البارزين عن الصراع والمواجهة، بينما يزودنا كولن بـ"صوت جديد" يدعو الناس من جميع العقائد إلى "الطاولة الإلهية". فمن خلال إرشاداته، يمكننا صنع عالم يكون الحوار فيه هو أول أولوياتنا والصراع هو آخرها".

أ.د. أكبر أحمد (الجامعة الأمريكية، واشنطن العاصمة/الولايات المتحدة)

"إن سيرة الأستاذ فتح الله كولن تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك قضية محورية في المنظور الإسلامي وهي الصلة الوطيدة بين صلاح الفرد وصلاح الأمة. إن صلاح الأمة يبدأ بصلاح الفرد قائداً، وينتهي بصلاح الأفراد من آحاد الناس. ومدخل صلاح الفرد المؤدي إلى صلاح الجماعة هو درس إسلامي أصيل بدأ بسيرة الرسول ﷺ، ويمر بعشرات السير الرائعة، إلى سيرة الأستاذ كولن التي نتعرف عليها اليوم. سيرة الأستاذ كولن تثير قضايا تربوية عديدة في زمن صار فيه الجميع ينعي أجيالنا الصاعدة؛ ومن بين تلك القضايا محورية المثل الأعلى في بناء وجدان ونفسية وطموح الأطفال والشباب".

د. أماني صالح (جامعة مصر الدولية/مصر)

"إن إحلال السلام أصعب بكثير من إيقاد الحرب. وعلى الرغم من الموانع فإن علينا السير جميعاً نحو السلام والاحترام المتبادل الذي يؤدي إلى الأمن والطمأنينة للإنسانية ورفاهها. فالعالم الفاضل فتح الله كولن المحترم تمثال حي حقاً في هذا الصدد، فهو مثال للسلام والتسامح، لنا ولجميع رؤساء الممالك وللقيم الإنسانية. فنحن جميعاً نحبه ونقدّره".

بارثولوموس (بطريك الروم - بطريك فنر/تركيا)

"إنني أنظر إلى ما حولي، فلا أرى إلا جمعًا من الناس، من جميع شرائح المجتمع، تُرى ما الذي دفعهم إلى المجيء إلى هذا المكان، ما الذي جمع هنا الناس من كل الأديان؟ نعم فكما أن مولانا جلال الدين الرُّومي في قُونيا قد جمع حوله مئات الملايين من الناس، فهذا أيضًا شخصية فذة يتكلم بالمحبة ويجذبنا إليه. هذا الشخص الموقر يتكلم عن المحبة... هذه المحبة هي التي تجمعنا هنا. ولأجل هذا أدعو له دعاءً خالصًا، فهو محتاج إلى دعائنا. فهو مثال نموذجي لعالمنا... البعض يقول: ماذا وراء هذا الشخص؟! فأقول: ليس وراءه إلا سلاح واحد وهو "محبة الله".

جورج مُورُفيج (ممثل الفاتيكان في إسطنبول الراحل/تركيا)

"كولن هو نداء إلى المسلمين لمزيد من الوعي بأن الإسلام يدعو إلى الحاجة إلى الحوار، وأن المسلمين مدعوون ليكونوا وكلاء وشهداء على رحمة الله للعالمين. يدعو السيد كولن -من خلال معرفته الواسعة بالتقاليد الإسلامية من خلال مزجه بين القرآن الكريم والحديث الشريف وأفكار المسلمين عبر العصور- لبناء حجة مقنعة بأن الحوار والحب والشفقة هي قيم إسلامية أصيلة، ويجب على المسلمين تقديمها إلى العالم المعاصر".

د. توماس ميتشل (سكرتارية مؤتمرات الفيدرالية المسكونية للأساقفة الآسيويين/الفاتيكان)

"التسامح والشمولية والحب والرحمة تمثل السمات الأساسية لفكر كولن... إن أية دراسة لكتابات كولن تكشف مدى اختراق هذه العناصر لقلب أفكاره؛ أو بعبارة أفضل، نشأتها من قلب أفكاره. ومما يبهز النفس

أن الأمر عميق جداً وليس مجرد زيّ سطحي. بشكل موجز، يطرح كُولن الحب بوصفه قلب الإسلام العميق؛ ومن ثم فهو يمثل السمة الرئيسية في التصوف، حيث تتجلى عبقريته في ترجمة روح الإسلام، ولذلك يجب أن يكون محوراً لما تدور حوله كل أعماله".

أ.د. جريج بارتون (كلية الآداب، جامعة موناخ، ملبورن/أستراليا)

"منذ عدة أعوام، تعرفتُ على كتابات جلال الدين الرومي عن طريق زميلٍ لي يتمتع بروحانية عميقة. لكنني الآن وجدتُ شخصية جديدة ومعاصرة تُماثل "الرومي"، لا تؤثر حياته وتعاليمه في عالم الإسلام اليوم فحسب، بل تؤثر أيضاً في الحركة العظيمة للاشتياق الديني عبر العالم".

د. دونالد نستي (جامعة القديس توماس، هيوستن/الولايات المتحدة)

"إن مجتمع الرجال المخلصين الذين قابلتهم في تركيا هو مجتمع من المسلمين نشأ في الأناضول تحت إرشاد الرومي، الشاعر العظيم والمعلم الروحي في القرن الثالث عشر. إن القائد الفكري والروحي لهذا المجتمع في الوقت المعاصر، الذي يلهم تلاميذه الأتراك بالكثير من العمل التعليمي والروحي، هو السيد فتح الله كولن. يوجد لدى هذين الرجلين الورعَيْن القادمين من قرنين متباعدين القدر الكثير مما يمكن قوله للمسلمين ولغير المسلمين على السواء عن كيفية التباحث في شأن هذا العالم المضطرب الذي نعيش فيه".

د. لين إي ميتشل (مدير الدراسات الدينية، جامعة هيوستن/الولايات المتحدة)

"إنَّ الإيثار والتضحية من أجل الآخرين والتي غرستها تعاليم كولن في النفوس صنعت رجالاً ينفقون الملايين في إنشاء المدارس والجامعات والمستشفيات دون أي مقابل ودون أن يمتنوا على أحد بهذا العطاء..."  
د. مورين فيدلر (جامعة جورج تاون/الولايات المتحدة)

"إنني شاهد عيان لعدد من المبادرات التي قامت بها الحركة في الولايات المتحدة، لأنني كتبتُ كتابي الخاص بالأستاذ فتح الله كولن... الأستاذ لا يتبني بمحاضراته ومواعظه وكتبه المفهوم الغربي للفصل ما بين الدين والدولة، ولكنه مع ذلك، يتناسب فهمه لدور الدين مع نفس الأسلوب الذي يمارس به في بعض المناطق بالغرب... قد حققت حركة كولن قدرا كبيرا من النجاح في الغرب... إنها تفهم أن دور الدين هو تزكية للأفراد، وأن هذا يحدث فقط حينما يعيش الناس جماعات وأفراد هذا الإيمان -الفضيلة- بشكل فعال. ومن ثم يقوم هؤلاء "المجانين"، بتأسيس مبادرات للمجتمع المدني، وتوحيد الناس جميعا على مبادئ هي بالتأكيد فاضلة. فهذا هو الشاهد الحقيقي للإيمان، وهو ما يحفز الآخرين لتبني تلك القيم الإنسانية العميقة في قلوبهم وأفكارهم."  
د. جيل كارول (كلية العلوم الدينية، جامعة رايس - تكساس/الولايات المتحدة)

"الزمن لا يوجد رجال من أمثال "فتح الله كولن" إلا بين قرن وقرن؛ إنهم يرفعون راية الأمل وشعلة الرجاء من قلب الظلام الذي يغشى العالم والأخذ بيد البشرية إلى الطريق المفضي إلى النور والأمل والسلام..."

عقيل الدين ميان (مجلة Weekly Cutting Edge/باكستان)

"كن كما تشاء في أي درجة من درجات الحداثة والتعليم، فلن يحول ذلك بينك وبين الإيمان والتسليم... أظن هذا ما يدعو إليه الأستاذ "كولن"..."

إحسان مسعود (مجلة/ Prospect إنجلترا)

"مؤيدو "كولن" يشكلون مزيجاً رائعاً في غاية التناغم والانسجام بين متعلمين شغوفين بالعلم، وإيمانين شغوفين بالإيمان، وحركيين يسهمون في تحريك عجلتي الاجتماع والاقتصاد في البلاد..."

مجلة/ Foreign Policy الولايات المتحدة

## رَجُلُ الْأَسْرَارِ

(أ.د. فريد الأنصاري (رحمه الله) من روايته "عودة الفرسان")

فَتَحُ اللهُ لَدَيْهِ سِرًّا لَيْسَ يَبُوحُ بِهِ!..

فَتَحُ اللهُ لَدَيْهِ سِرًّا تَنْتَظِرُهُ الدُّنْيَا، لَكِنْ لَا يَخْبِرُ بِهِ أَحَدًا!..

فَتَحُ اللهُ يَحْمِلُ فِي قَلْبِهِ مَا لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ؛ وَلِذَلِكَ لَمْ يَزَلْ يَبْكِي؛ حَتَّى  
احْتَارَ الدَّمْعُ لِمَاتِمِهِ!

فَتَحُ اللهُ وَارِثًا سِرًّا، لَوْ وَرِثَهُ الْجَبَلُ الْعَالِي؛ لِأَنَّهُدَّ الصَّخْرَ مِنْ أَعْلَى  
قَمْتِهِ، وَلَخَرَّتْ أَرْكَانُ قَوَاعِدِهِ رَهْبًا!

فَتَحُ اللهُ فَارِسًا لَيْسَ تَلِينُ عَرِيكَتُهُ، وَلَا تَضَعُفُ شَكِيمَتُهُ! وَلَصَوْتُهُ فِي  
الْكَرِّ أَشَدُّ مِنْ فَرْقَعَةِ الرَّعْدِ! يِقَاتِلُ فِي النَّهَارِ حَتَّى تَذُوبَ الشَّمْسُ فِي دِمَاءِ  
الْبَحْرِ، فَإِذَا خَلَا لِأَشْجَانِ اللَّيْلِ بَكَى!..

مَكِينُ الْوَيْثَةِ كَالْأَسَدِ، حَادُّ الرُّؤْيَةِ كَالصَّقْرِ، رَهيبُ الصَّمْتِ كَالْبَحْرِ،  
إِذَا سَكَتَ حَطَبٌ، وَإِذَا نَطَقَ التَّهَبُ! وَإِنَّهُ لَيَشْفُ كَالزَّجَاجِ إِذَا هُوَ كَتَبَ!

كُلُّ النَّاسِ يَعْرِفُ فَتَحَ اللهُ، وَكُلُّ النَّاسِ يَسْمَعُ فَتَحَ اللهُ، وَلَكِنْ لَا أَحَدٌ  
يَعْرِفُ مَا يَرِيدُ فَتَحَ اللهُ! فَلَمْ يَزَلْ سِرُّهُ فِي صَدْرِهِ، يُقْبَعُ فِي الْأَعْمَاقِ مِثْلَ  
اللُّؤْلُؤِ الْمَكْتُونِ!.. وَمَنْ يَدْرِي؟ فَلَعَلَّهُ فَارِسٌ لَمْ يَشْرُقْ بَعْدُ زَمَانُهُ! وَلَا حَانَ  
وَقْتُهُ وَإِبَانُهُ! وَأَيُّ بَلَاءٍ أَشَدُّ عَلَى الْمَرْءِ مِنْ أَنْ يَعِيشَ قَبْلَ أَوَانِهِ؟ وَيَعَاشِرَ  
غَيْرَ أَهْلِ زَمَانِهِ؟

وَلَمْ يَزَلْ فَتَحَ اللهُ يَرَسُمُ مَلَامِحَ الْمَاضِي فِي لَوْحَةِ الْمُسْتَقْبَلِ، فَيَنْفِخُ  
فِيهِ؛ فَيَكُونُ وَاقِعًا بِإِذْنِ اللهِ! كَلِمَا كَتَبَ مَقَالًا أَوْ خَطَبَ خُطْبَةً؛ تَشَكَّلَتْ

كلماته صورًا لقوافل الصحابة الكرام، ولجيش محمد الفاتح، يزحفون صَفًّا من خلف غبار الغيم، مَطْرًا يهطل من أُفُقِ بلاد الأناضول على كل العالم!

فَتَحُ اللهُ لَأَ يَمْلِكُ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا سِوَى مَلَابِسِهِ القَدِيمَةِ، وَمَحْفَظَةِ أَحْزَانِ صَغِيرَةٍ تَصْحَبُهُ أُنَى حَلٍّ وَارْتِحَلْ، لَمْ يَزَلْ يَحْتَفِظُ فِيهَا بِثَلَاثَةِ مَفَاتِيحٍ عَتِيقَةٍ! الأُولُ: مَفْتَاحُ "الباب العالي" فِي إسْطَنْبُولِ، وَالثَّانِي: مَفْتَاحُ "باب الحِطَّةِ" فِي المَسْجِدِ الأَقْصَى، وَالثَّالِثُ: مَفْتَاحُ جَامِعِ قَرْطَبَةَ فِي أُنْدَلُسِ الأَشْجَانِ!

رَجُلٌ وَحْدَهُ يَسْمَعُ أُنَيْنَ الأَسْوَارِ القَدِيمَةِ، وَنَشِيخَ الرِّيحِ الرَّاحِلِ مَا بَيْنَ طَنْجَةِ وَجَكَارْتَا! وَبِكَاءِ النُّورِسِ عِنْدَ شِوَاطِئِ غَادِرْتِهَا سَفْنُ الأَحْبَةِ مِنْذُ زَمَانٍ غَابِرٍ، وَلَكِنْ لَمْ يَشْرُقْ لِعُودَتِهِمْ بَعْدُ شِرَاعٌ!.. فَيَبْكِي!

رَجُلٌ وَحْدَهُ يَسْمَعُ صَهِيلَ الخَيْلِ القَادِمَةِ مِنْ خَلْفِ الشُّحْبِ، وَنَدَاءَ الغَيْبِ المَحْتَجِبِ، إِذْ يَتَدَفَّقُ هَاتِفُهُ عَلَى شَاطِئِ صَدْرِهِ، فَيَنَادِي مِنْ عُلَى مَنبَرِهِ: "أَلَا يَا خَيْلَ اللهِ ارْكَبِي!.. وَيَا سِوْفَ البَرَقِ التَّهَيَّي!"..

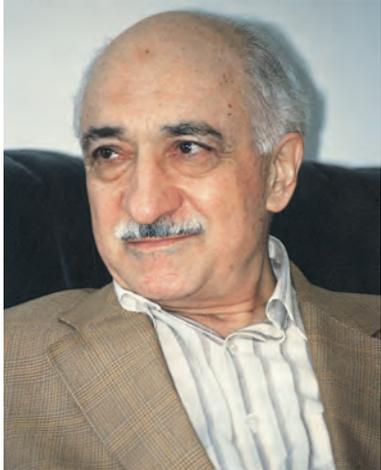
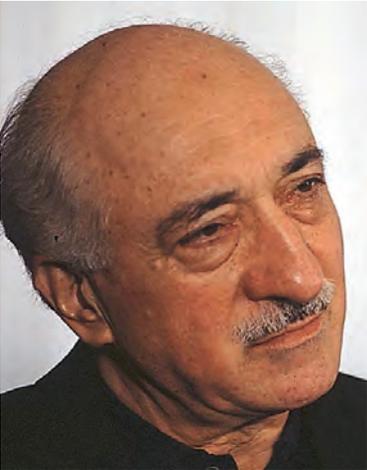
وَيَرَى مَا لَيْسَ يُرَى.. فَيَبْكِي!

فَتَحُ اللهُ سِيرَةَ بَكَاءِ! لِقَبِهِ الأَسْرِيِّ: "كُولُنْ"، وَمَعْنَاهُ "الضْحَاكُ" بِاللِّسَانِ التُّرْكِيِّ، وَهَذَا مِنْ عَجَائِبِ الأَضْدَادِ، وَمِنْ غَرَائِبِ المَوْافِقَاتِ أَيْضًا! فَهُوَ بَكَاءُ الصَّالِحِينَ فِي هَذَا العَصْرِ، لَكِنَّهُ مَا بَكَى إِلا لِيَضْحَكَ الزَّمَانُ الجَدِيدَ، وَلِيَزْهَرَ الرِّبِيعُ فِي حَدَائِقِ الأَطْفَالِ. مَا رَأَيْتَ أَحَدًا أَجْرَى دَمْعًا مِنْهُ، وَلا أَكْثَرَ وَلَهًّا.. وَكَأَنَّما دَمُوعُ التَّارِيخِ جَمِيعًا تَفَجَّرَتْ أَنهَارَهَا مِنْ بَيْنِ جَفْنَيْهِ!..

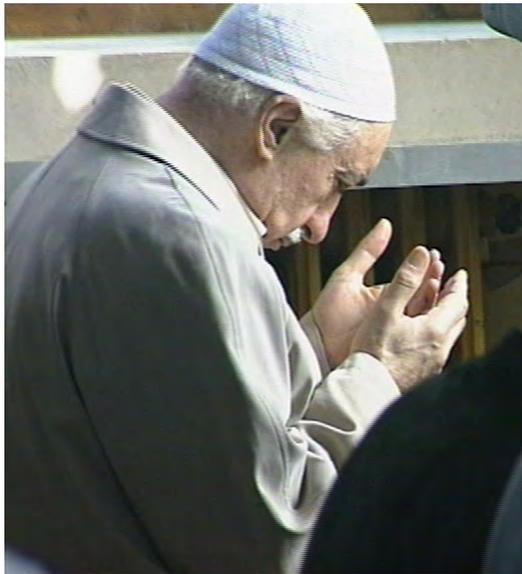
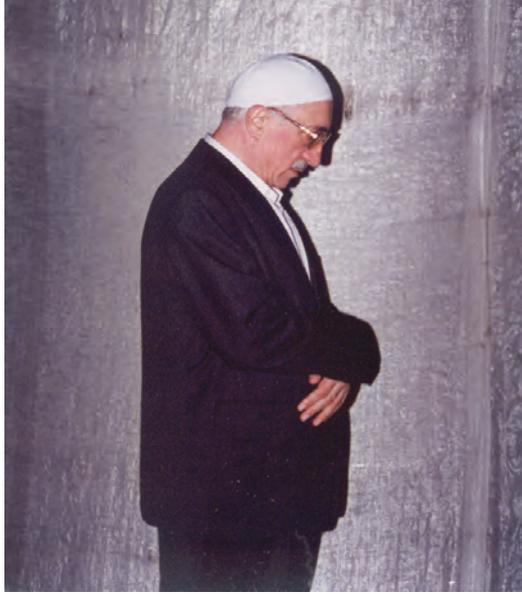
ولقد أخطأ من ظنه يبكي ضعفاً أو خوراً، وإنما هو جبَلٌ تشققت  
أحجاره عن كوثر الحياة الفياض، فبكى!..

الوعظ سر من أسرار فتح الله! فلم يزل منذ طفولته يبكي بمجالسه؛  
فتبكي لبكائه كل عصافير الدنيا! ولقد رأيتَه يبكي طفلاً وشاباً، ثم كهلاً  
وشيخاً! ولم يزل يبكي ويبكي.. وما جف لتدفق شلالاته نَبْعٌ! بدموع  
مواظمه الحَرَّى سقى فتحُ الله كل غابات بلاد الأناضول! وبها أروى  
عطش الخيل، وأطعم فقراء الليل! وبوابلِ بوارقها سقى كل صحاري  
العالم! ولقد عجبتُ من أي جبال الدنيا تخرج منابعه؟

## أرشيف الصور





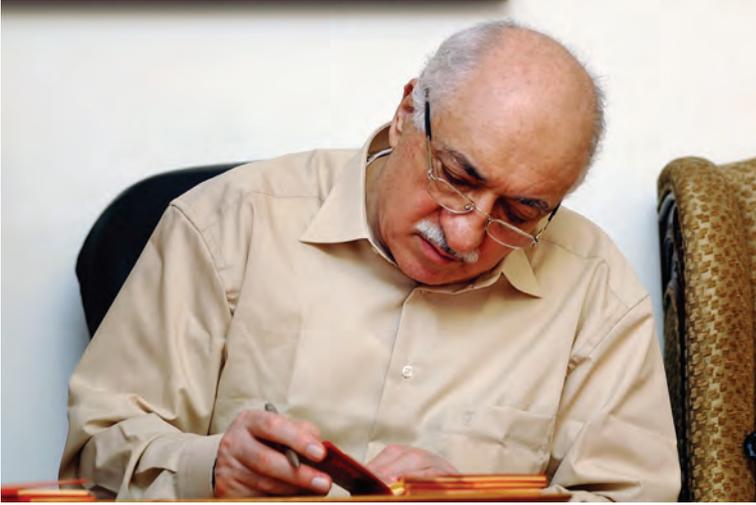












## عودة الفرسان



أ.د. فريد الأنصاري

- رواية شاعرية النَّفس،
- واقعية المضمون،
- وهَّاجة النور،
- شاجية القلب،
- وجيعة الوجدان...
- تغني للأمل، وتمتف للمستقبل؛
- تكفكف الدمع، وتمسح الألم...

## مؤتمر دولي

### مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي

خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركيبية



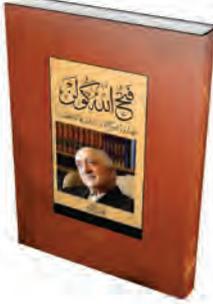
واقع الفكر الإصلاحية في تجربة فتح الله كولن.

حوار معمق في الفكر الإصلاحية بين جمهرة من المفكرين.

مقارنات ثرية بين تجربة الإصلاحية وتجربة فتح الله كولن.

تجربة فتح الله كولن الإصلاحية بين النظرية والتطبيق.

قراءات شاملة في تجربة «كولن» كواحدة من النماذج الرائدة.



## فتح الله كولن

### جذوره الفكرية واستشراقاته الحضارية

محمد أنس أركنه

إن فتح الله كولن يملك شخصية معنوية وفكرية قوية، قد عركته تجارب سنين طويلة في دنيا الفكر، فوقف بشكل مهيب يخاطب هذا العصر الذي ضعفت فيه الروح والفترة السليمة وضعف فيه الإدراك الصحيح. ولا يحس الأشخاص القريبون منه في ظل الثقل الفكري والمعنوي له بالراحة. لأن عليهم أن يكونوا يقظين على الدوام وفي جو روحي عميق.. ولا يمكن اللجوء إلى علمه بأحاسيس ومشاعر تميل إلى الدنيا وإلى متاعها المادي ومصالحها ومنافعها. فلكي تلج إلى علمه عليك أن تتجاوز حدود عالمك الشخصي وتتعداه. وبالمقابل هو أيضا لا يساعدنا كثيراً على فهمه وتحليل شخصيته بعمق. لأنه يقوم بإخفاء العديد من الأمور المتعلقة به ويستترها بسبب تواضعه الجم.

## عبقريته فتح الله كولن

### بين قوارب "الحكمة" وشواطئ "الخدمة"

أ.د. فؤاد البنا

- كتاب غاية في الإمتاع ....
- قلم محب يجري في مسارب فكر ...
- سيرة وحياة .... وبحاري أقدار...
- عبقرية فرد ..... وعبقرية أمة...
- إشارات حكمة على أرض الخدمة ...



## الانبعاث الحضاري

في فكر فتح الله كولن

أ.د. سليمان عشراقي



- الانبعاث الحضاري في مفهوم "فتح الله كولن"
- قوى الأمة النائمة .... وعوامل إيقاظها.
- تحريك الفكر .... كيف يكون؟
- تحفيز الوجدان .... لماذا ينبغي أن يكون؟
- روحانيات الأمة .... كيف نقيدها؟
- المنهجية والتخطيط الوسائل والاهداف.
- المعوقات والمشجعات.

## هندسة الحضارة

تجليات العمران في فكر فتح الله كولن

أ.د. سليمان عشراقي



- المعمارية الفكرية عند "فتح الله كولن" ...
- آثار الأمكنة في التشكيل الفكري عند "كولن"
- لوحات الحضور التاريخي في وجدان "كولن"
- البناء الحضاري للأمة كيف يخطط له "كولن"



**البراديه كولن**  
**فتح الله كولن ومشروع الخدمة**  
**على ضوء نموذج الرشد**  
د. محمد باعامي

- دراسة معمقة في فكر الأستاذ "فتح الله كولن".
- اللقاء الحميمي بين قمم الفكر الديني وقمم الفكر الحضاري.
- تسليط الضوء على الطاقة التفجيرية لقدرات الإنسان العملية والفكرية.
- مصطلح "الخدمة" ومضامينه وأبعاده في فكر الأستاذ "فتح الله كولن".
- المدرسة كوحدة من وحدات تأسيس الفكر الإيماني والعلمي على حد سواء.



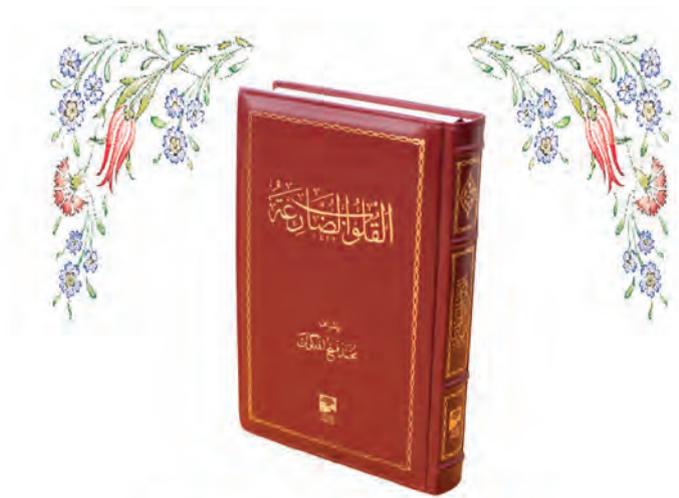
**محاورات حضارية**

**حوارات نصية بين**  
**فتح الله كولن وفلاسفة الفكر الإنساني**  
د. جيل كارول



- مقاربات فكرية بين «كولن» وعمالقة الفكر الإنساني عبر التاريخ.
- مفهوم «الحرية» عند «كولن» وعند رواد الحرية المعاصرين.
- المردود الأخلاقي لتفسير الروحي للكون عند «كولن».
- التجوهر الإيماني في ذات الإنسان ومردود ذلك على حياة البشرية.
- الحوار من أجل سلام يعم البشرية قاطبة كما يفهمه «كولن».





## القلوب الضارعة

بإشراف: مُحَمَّدُ فَتْحُ اللَّهِ كَوْلَنُ

أَنَاتُ قُلُوبٍ، وَأَشْجَانُ أَرْوَاحٍ، تَتَوَجَّهُ إِلَى بَارئِهَا  
بِانْكَسَارٍ وَتَذَلُّلٍ لِيَجْبَرَ كَسْرَهَا، وَيَقِيلَ عَشْرَهَا.

بين دفتي هذا الكتاب -الذي جمعه العالم الرباني فضيلة الأستاذ "فتح الله كولن"- أنات قلوب، وأشواق أرواح، ودموع واجدين، وضراعات توأبين هارقين نجيعهم على عتبات سامع النداء، ومجيب الدعاء، ومكفكف الدموع، وقابل الثوب، الرحمن الرحيم، والبرّ الغفور...

هنا يتلاشى الزمان ويضمحل المكان ولا شيء يبقى غير فيوضات أشواق، ومضات احتراق، ومكابدات أكباد، وكوى تفتح على أبد أبدي، ومشاكي أنوار تتألق في سماء الخلود. هنا رجال أدر كوا فسّموا بإدراكهم، وعرفوا فارتفعوا بعرفانهم. فلم يعودوا واقعين تحت ضغوط الأرض، أو محبوسين في ضيق الكائنات. إنهم رجال ملهمن، وإلى آفاق الغيوب يستشرفون.

# فتح الله كُولَن

## قصة حياة ومسيرة فكر

يدخل بعض الأعلام التاريخ من أوسع أبوابه، فترى بصاتهم واضحة في صفحاته، فالحديث عن الأستاذ "فتح الله كُولَن" هو حديث عن مطلع القرن الحادي والعشرين. إن الأستاذ فتح الله كُولَن هو العقلُ المؤسِّس لحركة "الخدمة"، وتعدّ الخدمة من العوامل الأساسية التي سترقى بالأمة التركية إلى مسرح التاريخ في القريب المنظور، فقد اضطلعت بدورٍ بارز في الإنجازات التي حققتها الأمة التركية في القرن المنصرم، بعد أن مُنيت بالهزيمة والفرقة في آخر قرنين ونصف، وكلّ من له دراية بأيسر مبادئ علم الاجتماع أو من له علم عن حركة تاريخ الحضارة، يُدرك أنّ حركة الخدمة التي انتشرت على مستوى العالم سنُسهم في اكتساب القرن الحادي والعشرين لهويّة جديدة؛ فبات مهمًّا للغاية التعرف على العقل المؤسِّس لهذه الحركة لتعرفه جيّدًا ونذكر مكناته. لطلّما كان الأستاذ فتح الله كُولَن -ولا يزال- موضوع كثير من الدراسات والأبحاث في عدد كبير من الجامعات العريقة في أنحاء العالم كافّة، وما أكثرت المؤتمرات التي بحثت اتجاهاته المتعددة؛ وبعض هذه الدراسات منشور متداول، لكن ما أقلّ الدراسات التي عُنيّت بسيرته الذاتية؛ وكانّ السبب أنّ محور اهتمامه كان يتمركز حول تقديم الخدمات لا حول شخصه هو، فهو لا يحبذ أن يتحدث عنه أحد، بل يرى أنّ ما ينفق من الأوقات في دراسات تتناول شخصه يذهب هباءً ولا طائل من ورائه. وهذا من تواضعه، وهو سمة شخصيته المتواضعة، لكننا نرى أنّه لا بدّ من التعريف بشخصيته وحياته التي وفقها لخدمة الأمة والإنسانية جمعاء؛ لندرك ونلّم بحركة كان هو الرائد الفكري لها. وكلّنا أمل أن يُسهم هذا الكتاب في سبر شخصية ذات أبعاد جمّة غفيرة كشخصية الأستاذ فتح الله كُولَن، لا أن يعرف به فحسب.

ISBN 978-975-315-532-8



9 789753 155328

